مجلة الناطقين بغير اللغة العربية

jnal

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

تصدر عن
المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب
برعاية أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وبنك المعرفة المصري

رئيس التحـــرير

أ.د/ علي محمد أحمد هنداوي

أستاذ متفرغ اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة عين شمس

مدير التحرير

حســـــام شعبان عبدالشافي

المجلد الرابع - العدد الثامن يناير ٢٠٢١

مجلة الناطقين بغير اللغة العربية

الصادرة عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

برعاية أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا وبنك المعرفة المصري

www.aiesa.org

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٢٤٣٥٥ / ٢٠١٧

ISSN: 2537-0383

eISSN : 2537-0391

http://jnal.journals.ekb.eg

Impact Factor: 1.21 / 2020

DOI : 10.12816/jnal.

طبعت بمطابع دار المعارف بالقاهرة

يتم النشر الالكتروني على المنصات الآتية

بسم الله الرحمن الرحيم

إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث المنشوره
في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم العلمي
والضوابط الأكاديمية

هيئـــــــة التحـــــــرير

أ.د/ علي محمد أحمد هنداوي	رئيساً للتحرير
أ/ حسام شعبان عبدالشافي	مديراً للتحرير
د. فكري لطيف متولي	عضو
أ/ نهى عبدالحميد عبدالعزيز	عضو
أ/ شتوي مبارك القحطاني	عضو

ميثاق اخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال اصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحّدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

١- مسؤولية الناشر:

قرار النشر: يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولا عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقيد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

النزاهة: يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

السرية: يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم.

الموافقة الصريحة: لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

٢- مسؤولية المحكم (المراجع) :

المساهمة في قرار النشر: يساعد المحكم (المُراجع) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

سرعة الخدمة والتقيد بالآجال: على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

الموضوعية : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

تحديد المصادر: على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشوره سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

تعارض المصالح: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يُلاحظ فيها علاقات شخصية.

٣- مسؤولية المؤلف :

معايير الإعداد: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، و ذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

الأصالة و القرصنة: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

إعادة النشر: لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، و تقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المُقيّم.

مؤلفي البحث: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنّهم مساهمون فيه

فعلا، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث ؛ كما يجب أن يطّلِع المؤلفون جميعا على البحثة جيدا، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

الإحالات والمراجع: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كلِّ الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث.

الإبلاغ عن الأخطاء: على المؤلف إذا تنبّه و أكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أيّ زمن، أن يشعر فورا رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

شـــــــروط النشـــــــر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٤٠) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة ، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربيَّ ، والإنجليزيَّ ، كلماتٌ مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).
- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠). و تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣...Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- أسلوب التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية، الإصدار السادس.

- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إليكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- يحق للباحث استلام نسخة ورقية من العدد ، وعند طلب نسخ أخرى أو مستلات اضافية للبحث أو ارساله بريدياً يتم تسديد تكلفتهم مع رسوم النشر.
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني أو موقعها:

search.aiesa@gmail.com

http://jnal.journals.ekb.eg

محتويات العـدد	
افتتاحية العدد	-
الأسطورة في شعر البردوني **دلال نورباعلي**	١ – ١٢
رؤية بلاغية لوصف أبليس في آيات القرآن الكريم **عبيربنت إبراهيم بن عبدالله الزبيدي**	٤٣ – ٤٤
الأدب العربي بين الفن و الجمال **حسين عبد النافع أبانكندا**	٤٥ – ٥٢
ديداكتيك اللغة العربية - القراءة المنهجية في المستوى الثانوي - دراسة نقدية **عبد الرحيم حكى**	٥٣ – ٦٨

افتتاحية العدد:

قال أبو بكر الزبيدي:

"ولم تزل العربية تُنطَق على سجِيَّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها ، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أَرْسالا "أي : أفواجا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة ، ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْيُها ، والموضِّحُ لمعانيها. فتفطَّن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارَف من كلام العرب ، فعَظُم الإشفاق من فُشُوّ ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أنْ سبَّبُوا الأسباب في تقييدها لِمَنْ ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عنه طبقات النحويين واللغويين . وبحث الدكتور شوقي ضيف عن أسباب وضع النحو ، فرَدَّها الى بواعثَ مختلفة : "منها الدينيُّ ومنها غير الدينيّ. أما البواعث الدينية فترجع الى الحرص الشديد على أدَاء نصوص الذِّكْر الحكيم أدَاء فصيحا سليما إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة ، وخاصة بعد أنْ أخَذ اللحن يَشِيع على الألسنة " . وزاد على البواعث الدينية بواعثَ أخرى سمَّاها بواعثَ قوميَّة عربيَّة وبواعث اجتماعية.

أما البواعث القومية فترجع "إلى أن العرب يعتزُّون بلغتهم اعتزازاً شديداً ، وهو اعتزازٌ جعلهم يَخْشَون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذَّوَبان في اللغات الأعجمية " المصدر نفسه ١٢. وأمَّا البواعثُ الاجتماعية " فترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحسَّت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمَثَّلها تمثُّلًا مستقيماً ، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما " المصدر نفسه. وظهرت تلك البواعث عند الدكتورة خديجة الحديثي بتسمية أخرى ، فأطلقت عليها اسم الدوافع الى نشأة النحو، فقالت:

"ولم يكن الحفاظ على القرآن هو الدافع الوحيد إلى التفكير في وضع قواعد وأصول لحماية اللغة وضبطها ، وإنما كانت هناك دوافع أخرى تضافرت جميعها على القيام بهذا العمل الجليل ، وأوْضَح هذه الدوافع:

١. الدافع الدينيّ: وهو الدافع الرئيس والسبب المباشر الذي أدَّى إلى التفكير في وضع ما يسمَّى عِلم العربيَّة على اختلاف فروعه وعلومه من أصوات ولهَجات ومُعْجَمَات وغريبٍ ونحوٍ وصرف.

فقد كانت خشية المسلمين على كتابهم أن يصيبه اللحن في قراءته أو التصحيف في أحرفه، فيؤدي ذلك الى تحريف آياته، وتغيير المفهوم منها ، وبذلك تتغير الأحكام المأخوذة منه ، والمبنِيَّة عليه ، ويصبح المفهوم من الآية كفرا وهو إيمان أو حراما وهو حلال.

٢. الدافع الاجتماعي : ويأتي هذا الدافع مُكْمِلا للدافع السابق ، ومرتبطا به أشدَّ الارتباط وأوثقه ، فقد كانت البيئات الاسلامية كافة تغُصُّ بالقوميات المختلفة التي كانت تسكن في البلاد المفتوحة أو التي هاجرت إليها بعد الفتوح الإسلامية ولاسِيَّمَا البصرة ...

فخشيَ علماء المسلمين على لغة القرآن أن يصيبها التحريف نتيجة هذا الاختلاط ، ولكثرة الداخلين في الإسلام من الذين يؤدِّي بهم جهْلُهم إلى الخطأ في قراءة القرآن ، فأخذوا يبذلون الجهود في سبيل ضبط اللغة وإبْعاد اللحن ...

وكان لرغبة الداخلين في الإسلام في تعلُّم العربية لغة القرآن، والعبادات الدينية ولغة الدولة الحاكمة ليُصْلِحوا بها أمور دينهم ، وليستطيعوا مشاركة العرب في إدارة شئون الدولة.

٣. الدافع اللغويّ القوميّ : كان في البلاد العربية عند نشوء اللحن ووقوعه في اللغة العربية ثلاث لغات متداوَلة ...

أ. اللغة المحكيَّة في الحواضر حتى نهاية القرن الأول ، أو اللغة المثالية وبها نزل القرآن

ب. اللغة البدوية المستخدمة في البوادي وهي التي اعتمدها النحويون واللغويون.

جـ. لغة الحواضر المحكية بعد القرن الأول للهجرة ، التي استخدمت في مكة والمدينة والطائف والحيرة وأطراف الشام.

"وقد أدَّى اختلاط لغات هذه الحواضر بلغات القوميات المختلفة وغيرها إلى فساد لغتها... ولذلك أصبحوا يرسلون أولادهم إلى البادية لتلقي اللغة الفصيحة... وبعد انتشار الإسلام خاف العرب المسلمون على لغتهم لغة القرآن من التحريف والذَّوَبان والضياع ، ودفعهم الأمر إلى ضبطها وتقييدها بما وضَعُوا لها من قواعد.

رئيس التحرير

أ. د/ علي محمد هنداوي

الأسطورة في شعر البردوني

The legend in Al-Bardouni's poetry

إعداد
دلال نور باعلي

Doi:10.12816/jnal.2021.144690

الاستلام: ٢٥/ ١٠ /٢٠٢٠ القبول : ٢٠ / ١١ /٢٠٢٠

المستَخلص :

الأسطورة في شعر البردوني عنوان خُيل إليّ - بداية - أنه عمل يسير ، وما أن بدأت البحث والتنقيب حتى وجدتني أمام سيل من المصطلحات المتداخلة والتي تحتاج إلى وقت أطول مما أملك للإحاطة بها ، فأول ما واجهني صعوبة تحليل المصطلح (الأسطورة) فقلما يتفق باحثان حول مفهوم محدد للأسطورة : فمنهم من يراها خرافة، ومنهم من يراها حقيقة، ومنهم من لا يفرق بينها وبين التاريخ، وبينها وبين الخرافة، ومنهم من يراها محض أكاذيب، ومنهم من يرى أن لها امتدادا في حقل الواقع. وآخر يرى أن الشخصية التاريخية التي كان لها دورها الإنساني في صنع التاريخ والدفاع عن بني البشر تصبح مع الصيرورة التاريخية رؤية أسطورية وحالة جمالية تفوق حد التخييل ، إن الاختلاف في تحديد ماهية الأسطورة وبواعثها ومكوناتها أدى إلى إخضاعها إلى مناهج فكرية عديدة تعاملت معها وفسرتها، وقد خضعت هذه المناهج بدورها لنزعات الرؤية الفردية ذات الاتجاهات المتباينة في التطرف والاعتدال، والعلمية والغيبية [١] وقد اقتصرت في بحثي على الأسطورة بمعناها الذي يقصي الرموز الدينية والتاريخية واستبعدت الحكايات الشعبية ، ليكون البحث أكثر تركيزاً . وبعد أن انتهيت من اشكالية المصطلح بدأت في دراسة حياة الشاعر وشعره فوجدت شاعراً أثرى الساحة الشعرية بقصائد تستحق المزيد من الدراسات فقد مثلت" تجربة الشاعر البردوني إنجازاً ريادياً ، على صعيد تحديث القصيدة الشعرية اليمنية في إطار المشهد اليمني كمحيط شعري ، يفيد من سبق المركز وإنجازاته ، ويشارك ، في الوقت نفسه ، بنماذج شعرية ناضجة ضمن الحراك الشعري الحداثي "[٢]

١ - مقال بعنوان : مدخل في الأسطورة و أهميتها //محمد عبد الرحمن يونس
http://www.startimes.com/f.aspx?t=32842149

٢ - مقال بعنوان : استعمالات الأساطير رموزاً في الشعر اليمني المعاصر : الشاعر عبدالله البردوني نموذجاً د. عبدالسلام الكبسي http://abdulsalam.alkibsi.com/?p=141

Abstract:

The myth in al-Baradouni's poetry is a title that I had imagined - in the beginning - that it is a work in progress, and as soon as I began searching and excavating, I found myself in front of a torrent of overlapping terms that require more time than I had to surround them. The first thing I encountered was the difficulty of analyzing the term (myth), so two researchers rarely agree on the concept of Specific to the myth: Some of them see it as a myth, some of them see it as a reality, and some of them do not differentiate it from history, and between it and myth, and some of them see it as pure lies, and some of them see that it is an extension in the field of reality. And another sees that the historical figure who had a human role in making history and defending human beings becomes, with the historical process, a mythical vision and an aesthetic condition that exceeds the limit of imagination.

مقدمة :

و كم ادهشتني قدرة الشاعر التصويرية والتي ينقل لنا فيها ومن خلال الكلام ما لا يمكن أن نتخيله بحواسنا رغم أنه محرومٌ من أهمها!

لكن شيئا داخلي يلتظي فيخفق الثلج ويظمأ الربيع
يبكي يغني يجتدي سامعا وهو المغني والصدي والسميع
يهذي فيجثو الليل في أضلعي يشوي هزيعا أو يدمي هزيع
وتطبخ الشهب رماد الضحى وتطحن الريح عشايا الصقيع

ترجمة الشاعر :

عبدالله بن صالح بن عبدالله بن حسن البردوني :

ولد في قرية (البردّون) ، من قبيلة (بني حسن) ، في ناحية (الحدأ) ، شرقي مدينة ذمار . والدته : نخلة بنت أحمد بن عامر .

تاريخ ميلاده يقدر بعام ١٩٢٩م ،أو عام ١٩٣٠م ، وهذا بالتقدير القائم على أحداث مثل ضرب الشمال بالطائرات البريطانية عام ١٩٢٨م ، وغرق "محمد البدر" ، أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره ، وعلى إثره فقد بصره . تلقى تعليمه الابتدائي في قرية " البردُّون" ، ثم انتقل إلى مدينة ذمار في الثامنة أو التاسعة من عمره ؛ حيث أكمل القرآن الكريم في الصف الأول من المكتب حفظاً وتجويداً ، ثم انتقل إلى دار العلوم " المدرسة الشمسية " وحين بلغ الثالثة عشرة من

عمره : بدأ رحلته الشعرية ثم انتقل إلى "دار العلوم " حصل على إجازة من دار العلوم برئاسة العلامة "علي فضة" في " العلوم الشرعية والتفوق اللغوي " ، ثم التحق بالمنهج لكي يتقاضى مرتباً رمزياً كخريج ، ثم تعين مدرساً للأدب العربي شعراً ونثراً في نفس المدرسة العلمية .

شغل العديد من الأعمال من الأعمال الحكومية :

- رئيس لجنة النصوص في إذاعة صنعاء ، ثم مديراً للبرامج في نفس الإذاعة .
- كان يستعان به في أي التباس لغوي أو فني في الإذاعة ، إلى جانب برنامجه الإذاعي الأسبوعي " مجلة الفكر والآداب "
- عمل مشرفاً ثقافياً على مجلة الجيش وكان له مقالاً أسبوعياً في صحيفة "الثورة" بعنوان "شؤون ثقافية" والعديد من المقابلات والمقالات في الصحف والمجلات المحلية والعربية والقنوات الإذاعية والتلفزيونية العربية والعالمية .
- من أوائل من سعوا لتأسيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، وقد انتخب رئيساً للاتحاد في المؤتمر الأول .
- له العديد من الدووين والدراسات الأدبية .
- كُتبتْ عنه العديد من الكتب والدراسات التي تناولت حياته وشعره ، مثل : الصورة في شعر البردوني ، د.وليد مشوح – سوريا ، شعر البردوني ، لمحمد قضاة ، رسالة دكتوراة – الأردن وغيرها .
- له أعمال مترجمة إلى اللغات العالمية ."[٣]"

سر الأسطورة :

الأسطورة لغةً : "الأحاديث العجيبة ومفردها أسطورة"[٤]ورد في لسان العرب في مادة سطر قال الزجاج في قوله تعالى :"وقالوا أساطير الأولين" خبر لابتداء محذوف ، المعنى وقالوا الذي جاء به أساطير الأولين معناه سطّره الأولون وواحد الأساطير أسطورة كما قالوا أحدوثة وأحاديث. وسطّر يسطر إذا كتب قال الله تعالى : (ن.والقلم وما يسطرون)[٥]، أي وما تكتب الملائكة والأساطير: الأباطيل. والأساطير: أحاديث لا نظام لها واحدتها إسطار وإسطارة بالكسر وأسطير و أسطيرة و أسطورة بالضم. ووردت في القرآن الكريم جمعاً ، ولم ترد مفردةً "أسطورة" .[٦]

الأسطورة اصطلاحاً : تتعدد المفاهيم والتعريفات للأسطورة وذلك حسب الزوايا التي يتناول بها الدارسون هذا المصطلح فمنهم من يرى : أن الأساطير نتاج صبياني

---

٣ - استعنت في ترجمة الشاعر بمقدمة ديوانه، المجلد الأول – الحارث بن الفضل الشميري

٤ - المعجم الوجيز، ص ٣١٠.

٥ - سورة ن -١

٦ - لسان العرب الجزء التاسع ص ١٨٢ الصادر عن دار صادر بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠

وأوهام وخيال مشوش، نجد آخرين يعدونها واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية التي لم يفسدها الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية(٤) ، ومنهم من يربط وجودها ببداية الإنسان فيرى أنها (مرحلة بدائية من مراحل التفكير الميتافيزيقي، وأول تجسيد للأفكار العامة)[٥] ، ويبدو أن السر وراء تعلق الناس بالأساطير وشغفهم بها يعود إلى أنها تمزج بين بين الدين والسحر، والتاريخ، والعلم، والخيال، والحلم، والحقيقة الواقعة ومن هنا عرفها بعضهم بأنها:(حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي)[٦] وهذا التجاوز اللامعقول مع الارتباط بالقيم والمعتقدات يجعل المتابع لها مقتنعاً بما يرد فيها لما تمثله له من القفز على اللا ممكن وتحقيق الأحلام أحياناً .

إنّ قيمة الرموز الأسطورية القديمة حينما تُوظَفُ في القصيدة العربية المعاصرة " كامنة في لحظة التجربة ذاتها، و ليست راجعة إلى صفة الديمومة التي لهذه الرموز و لا إلى قدمها .[٧] "و بالتالي فإنّ القصيدة المعاصرة لا تكتسب أهميتها من الماضي لمجرد أنه ماض، بل من الحاضر و إمكاناته الثقافية و الحضارية المتعددة، هذه الإمكانات التي قد تكون متشكّلة من الماضي، و قد تكون متفارقة و متباينة عنه، و حقلها المعرفي هو الحاضر

" والشخصية الأسطورية نتاج معرفي جمعي له امتداد في الماضي والحاضر والمستقبل ،وبه يحضر الماضي في وعاء الحاضر ليمتد ويتكرر في المستقبل ، أشهر الأساطير الموظفة في الأدب العربي الحديث مستوحاة من التراث القديم ،مرتبطة بشخوص أسطوريين أو دخلوا على مرّ الزمن عالم الاسطورة ،كما نجد رموزا جديدة يخلقها الشاعر المعاصر وينشئ بها الأسطورة الجديدة ، "وهو في هذا يحتاج إلى قوة ابتكارية فذة يستطيع بها أن يرتفع بالواقعة الفردية المعاصرة إلى مستوى الواقعة الإنسانية العامة ذات الطابع الأسطوري أشهر الرموز الأسطورية :

السندباد : رمز الرحلة المغامرة

سيزيف : " الاستمرار والعمل وتكرار الفعل لتحقيق الهدف، والنضال والصراع والكفاح نحو الأعلى ،التفاؤل.

ابن سيرين : رمز العلم والزهد والورع.

عشتار : رمز الصراع بين المتناقضات والثنائيات .

٤- انظر: أساطير العالم القديم، صمويل نوح كريمر ص١١.

٥- انظر: الأساطير، أحمد زكي ص١٠٧.

٦- مضمون الأسطورة في الفكر العربي د.خليل أحمد خليل ص٨.

٧- د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٨م، ص ٢٠٠.

شهرزاد : رمز الفطنة والدهاء للمحافظة على النفس والهروب من الهلاك وشهريار : رمز التجبر والتسلط والفراغ."[٧] والأسطورة موضوع دخل أدبنا العربي الحديث شعراً ونقداً وبدأت العناية بها منذ منتصف القرن الماضي وكُتبت عنها دراسات كثيرة مثل : " الشعر المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية " د. عزالدين إسماعيل وكتاب " الأسطورة في الشعر العربي الحديث " د. أنس داود.

" وعندما نستحضر الأسطورة في الشعر العربي المعاصر ، فإننا نستحضر التاريخ متداخلا مع الميثولوجيا والخرافة ، ولذا فإنه يصعب علينا تلمس أوجهها كاملة، وذلك لتناصها مع الحقول المعرفية الأخرى، التاريخية والميثولوجية والسحرية والخرافية. وفى النقد الحديث تناول كثير من النقاد الأسطورة في الشعر العربي المعاصر عند بدر شاكر السياب وصلاح عبدالصبور وخليل حاوى ويوسف الخال وأدونيس"[٨]

الأسطورة في شعر البردوني

أنواع الأسطورة في شعر البردوني :

- الأسطورة التاريخية :

وردت في شعر البردوني عدد من الأساطير التاريخية منها أسطورة * " سيف بن ذي يزن " وهي " قصة شعبية عربية طويلة. تتحدث عن البطل اليمني، سيف بن ذي يزن، الذي كان سليل بيت من ملوك حمير. و قد احتفلت المخيلة الشعبية به، لما كان له من شأن عظيم في التاريخ القومي العربي، إذ يعود إليه الفضل في طرد الأحباش من ج. بلاد العرب، بعد أن ظلوا غالبين عليه منذ عهد ذي نواس. و تذهب بعض الروايات إلى أن سيف بن ذي يزن غلب على الأحباش بمساعدة الملك الفارسي كسرى أنوشروان، و أطاح بحكمهم على اليمن، و بسط سلطانه على أرض أجداده في ظل الحماية الفارسية. ويرجح الباحثون أن انتصاره هذا يمكن أن يرجع إلى (٥٧٠) أو نحوها. و ينسب هذا الانتصار خطأ إلى ابن سيف، معد يكرب. و تحتل سيرة سيف بن ذي يزن مكاناً بارزاً بين السير الشعبية العربية، بسبب نضاله القومي الموفق ضد الأحباش. و لقد أفاد الدارسون من اسم ملك الأحباش في هذه السيرة، و هو سيف أرعد، ليتبينوا بداية نشأة السيرة، فإن اسم هذا الملك يطابق اسم ملك حبشي حكم بالفعل (١٣٤٤ – ١٣٧٢)، و استنتجوا من هذه الحقيقة أن نسخ السيرة الموجودة الآن ترجع إلى القرن ١٥، و لا يمكن أن ترجع إلى ما قبل نهاية القرن ١٤. و لا يستتبع ذلك أن القصة برمتها قد نشأت في ذلك العهد. و الراجح أن منشأ السيرة هو مصر، بل القاهرة، تدل على ذلك أسماء الأشخاص و الأماكن الكثيرة التي تشير جميعاً إلى مواضع معظمها في مصر. موضوع

---

٧ - انظر : صفحة الأستاذ : دراعي توفيق :
https://www.facebook.com/DrayTwfyq/posts/521249707931345

٨ - الأسطورة في الشعر العربى المعاصر ، د . يوسف حلاوى ، ط . دار الآداب

السيرة هو الصراع بين العرب و بين الأحباش و الزنوج. و سيف بن ذي يزن يرهص بالإسلام، و يؤمن بالتوحيد. و قد استحدثت السيرة علاقة بين سيف و بين النبي إبراهيم، و فيها آثار أفريقية ظاهرة، و تكثر الخوارق في أحداثها، و يستعان عليها بكرامة الولي و سحر الساحر. و أضفى الخيال الشعبي عليها ثوباً فضفاضاً خرج بوقائعها من إطار الممكن والمعقول. و فيها قصص عن نشأة المدن المشهورة، و الأماكن، و العمائر، و مجيء نهر النيل إلى مصر، و غير ذلك مما يدخل في باب الأساطير. و فيها أيضاً وصف للرحلات و المغامرات الكثيرة التي قام بها سيف بن ذي يزن، و أولاده، و فرسانه، و الأرواح المسخرة له، و قصص حبه، و حب غيره. و تستغرق العجائب و الكنوز و أعمال السحر جانباً كبيراً من السيرة. طبعت هذه السيرة مرات عديدة و هي تقع في ١٧ جزءاً، و درسها بعض المستشرقين و العرب "[٩]

يمانيون يا (أروى) ويا (سيف ابن ذي يزن)
ولكنا برغمكما بلا يُمنٍ بلا يمنِ
بلا ماض بلا آت بلا سرّ بلا علن

* ومنها أسطورة " بلقيس " تلك الشخصية التي امتزج الحديث عنها بين الحقيقة التاريخية الواردة في القرآن الكريم وبين الأسطورة التي تناقلتها العصور وتقول الأسطورة إن جنية جميلة كانت تعيش في مأرب فتزوجت من أحد المستشارين المقربين من مكرب سبأ وأنجبوا ابنة اسمها بلقيس، أرسلوها إلى الصحراء لتعيش مع أخوالها من الجن. كبرت بلقيس وسط الجن وعلمت أنه بمأرب مكرب ظالم فذهبت إلى المدينة وطعنته بخنجر وهو نائم وخلصت اليمنيين من بطشه، وأساطير أخرى مشابهة تملأ جنبات كتب تراث العرب منها أنها ابنه ملك يدعى الهدهاد بن ذي شرح وأنها كانت حميرية وأخوالها من الجن كذلك.

وتقول الرواية العربية إن ملكاً حميرياً يدعى "عمرو ذو الإذعار" من أم جنية اسمها العيوف بنت الرابع تولى الملك في مملكة حمير وكان ظالما جبارا ولهذا عرف باسم "ذو الأذعار" المشتق من الذعر. وانقسمت حمير على ما روى الرواة فكان ذو الأذعار هذا وملك آخر يدعى عمرو بن شرحبيل الذي ولي ابنه الهدهاد الملك عقب وفاته وفي رواية أخرى اسمه ذي شرح. كافأ الجن الهدهاد أو "ذي شرح" بأن زوجوه منهم لأنه ساعد مصاباً منهم بسقية من ماء وكان نتاج ذلك الزواج بلقيس الوحيدة التي عاشت من أبناء وبنات الملك ...."[١٠]

٩ - الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٦٥

١٠ - انظر : مقال : عرش بلقيس.. أسطورة يمنية تعانق التاريخ ، رويدا السقاف ، منجلة الراية السبت ١٤٣٤/١/١٨ هـ .

وكان لهذه الشخصية الأسطورية حضوراً بارزاً في شعر البردوني حتى أنه سمى بها أحدى قصائده وبها تسمى ديوان كامل للشاعر " من أرض بلقيس "

بلقيس يا أرض الحضارة اشرقي من شرفة الأمس البعيد وكبري

*أسطورة " طسم وجديس " وساق الأخباريون نسب "طسم" على هذه الصورة: "طسم بن لاوذ بن إرم" أو "طسمم بن لاوذ بن سام"، أو "طسم بن كاثر"، أو ما شابه ذلك من نسب. ونحن لا نعرف الآن من أمرهم غير ما ورد من القصص المدون في الكتب، ولم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم. وقد جعلهم بعض أهل الأخبار من أهل الزمان الأول، أو من عاده .وقد شك حتى الأخباريون في الأخبار المنسوبة إلى "طسم"، إذ اعتبروها أخبارا موضوعة، فقال بعضهم: "وأحاديث طسم: يقال لما لا أصل له. تقول لمن يخبرك بما لا أصل له: أحاديث طسم وأحلامها، وطسم إحدى قبائل العرب للبائدة." أما مواطن طسم، فكانت الإمة، وعند بعضهم الأحقاف والبحرين. وقد زعم الأخباريون أن طسما وجديسا سكنتا اليمامة معا، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها، ثم انتهى الملك إلى رجل ظالم غشوم من "طسم" يقال له "عمليق" أو "عملوق" إستذل جديسا، وأهانها، فثارت جديس وقتلت عمليقا ومن كان معه من حاشيته، واستعانت طسم ب "حسان بن تبع" من تبابعة اليمن، فوقعت حرب أهلكت طسما وجديسا، و بقيت اليمامة خالية، فحل بها "بنو حنيفة" الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام "[١١].

وأسطورة من ليالي "جديس " رواها إلى تغلب " جرهم "

فهو يتمثل بأسطورة قبيلتي " جديس وطسم " العربيتين القديمتين التي تغلبت فيها القبيلة الأولى على الثانية بعد أن قهرتها زمناً طويلاً

والدنا في عزلتي هائـــــــمة كهوى "ليلى " وطيف " العامري"
وحدتي صمت يغني ورُؤى من عصا "موسى " وعجل السامري "
وعدها يبعث ذكرى "حاتم" ووفاها صورة من " مــادر"

الأسطورة الشعبية :

سل الدجى عن طيف " ليلى " وكم حياه " مجنون بني عامر "
فخلعنا عن صدره قلب شمـــــ شون وعن وجهه قناع "سجاح "
وينيلون "باقلاً" ثغر "قيس" ويعيرون "مادرا "جود حاتم
وشباب توهجوا فانطفأ"نيرون " وأنهار أغبر الوجه فاحم
و التقينا نمدّ للفجر أفقا من دم التوأمين " عاد " و " هاشم"
و مراحا من تضحيات " البلاقيس " و مغدى من تضحيات " الفواطم"
فانطلق حيث شئت يا فجر إنّا قد فرشنا لك الدروب جماجم

١١ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ، ج١،ص٣٥٢

تتناجون بينكـم أتراها : بنت "كسرى " أم " شهرزاد " الصغيرة ؟
لو رأى " شهريار " طيف صباها باع فيها سلطانــه وسريــره
من لياليه حين مس "علياً" ليلة العرس أنه شر وافد
أو أتى مرشداً فأومأ إليه صاحبته أن الضحية راشد[١٢]
وعلى المنحنى تمد " صياد "[١٣] للأذلاء حائطاً من أساود
ولها حافرا حمار وتبدو مرأة قد تزوجت ألف مارد
من ركوب السرى على كل قفر لم ترده حتى خيالات رائد
والليالي على أكف العفاريت نعوش ، ذواهب ، وعوائد
فيقصون كيف طار " ابن علوان"[١٤] وماذا حكى " علي بن زائد"
ضجيج فراغ ، يلوك صداه ويوهم شدقيه بالإزدراء
وورديانه ، في ضياع الضياع وموعده ، رحلة "السندياد "
يغازل خلف امتداد الخيال مدى للفتون ، عليه احتشاد

أين العروبة ؟ هل هنا أنفاس " قيس" أو " لبيد "
راحوا يعيدون المعاد عن " الحسين " وعن " يزيد"
عن مُهر " عنترة " وعن صمصامة الشيخ الزبيدي
عن " شهريار" و"باب خيبر" و" ابن علوان " النجيد
فانهار " شمسون " زناء برأسه ، ووعى انحلاله
واستنزف الفلك المعطل عن جناحيه البطاله
كيف انطفأ الشهب "الثلاثة " في ربيع العنفوان
وتراجع "الباهوت" يحرق بالمواجع وهو فاني
يحيا ولا يحيا يموت ولا يموت بكل آن
فتبرجت مأساة : واق الواق " تغدق كالجنان
حتى أطل على عُقــا ب من أساطير المحال
في كل ريشة جانح منه " أبوزيد الهلالي "
في النفحة الأول رمى بالعرش أغوار الزوال
واليوم طفل حمير بلا أب بلا صبا
لا مدينة ...بلا مخابئ ... بلا رُبى

١٢ - من حكايات الأسمار في أرياف اليمن أن المحتضر يشاهد ملك الموت في يده سكين حمراء ،وأنه قد يغلط فيهم بقبض روح شخص والمقصود غيره وبالخصوص إذا اشبه الاسمان
١٣ - صياد : اسطورة لجنية توصف بصيد الرجال وهي أكثر طمعاً في الأذلاء
١٤ - بطل أسطوري في معتقد في اليمن .

يعزوه ألف هدهد وتنثي بلا نبا
يكفيه أن أمه " ريا" وجدَّهُ " سبا "
ماذا أحدث عن صنعاء يا أبت ؟ مليحة عاشقاها : السل والجرب
ماتت بصندوق "وضاح "[١٥] بلا ثمن ولم يمت في حشاها العشق والطرب
ويُناضل " قيصر " في " رومـــا " "كسبرتاكوس " ولا يفشل
يطوي الإسكندر في يده ويجول على كتفي " أخبل "
ويرد اليوم إلى الماضي ويعيد الماضي مستقبل
يمحو " سايجون " بإصبعه ويمزق " خيبر" بالنجل
يرمي عن صهوته " كسرى " ويقاتل في " حيفا " أعزل

أيه " وضاح " دونك البئر فانزل قطعة دون وصفها بالحقيرة
ولهت " ديدمونة" في علاها و"عظيل " الهوى صريع الحفيرة

يمانيون يا "أروى " ويا " سيف بن ذي يزن "
ولكنّا برغمكما بلا يمن بلا يمن
بلا ماضٍ بلا آتٍ بلا سر بلا علنِ

ماذا جرى يا " شهرزاد " ؟ تضاحكى ، ياللمراره
عشرون سوماً ، وانثنى الماضي فردينا الإعارة
من ذا أطل ، وأجهش الميدان أحمد و" الوشاح "
أسطورة الأشباح دقّ طبوله ساح ، وساح
" عوج بن عنق " شق أنف الشمس منكبه الوقاح
الجن بعض جنوده والدهر في يده سلاح
وسرى ، وعاد " السندباد" ودربه الدم والنواحراحوا ي

توظيف الأسطورة في شعر البردوني :

أصبحت الأسطورة في الأدب العربي الحديث من أبرز الظواهر الفنية التي جلبت اليها الانظار في التجارب الشعرية الحديثة. فقد ألحّ الشعراء على الأساطير و

١٥ - هو : عبد الرحمن بن اسماعيل ... شاعر يماني غلب عليه لقب وضاح لاشراق وجهة ووضوحه يُقال أن : "أم البنين " زوج الخليفة "الوليد بن عبدالملك " احبته وعندما اكتشف أمره ساعة وصل خبأتهلا في صندوق ... وعندما عرف الخليفة أخذ الصندوق ورماه في بئر كانت تحت بساطه .

الشخصيات التراثية و محاولة استدعائها قصد التعبير عن معاناتهم لأن "الأسطورة في إطار الحضارة الصناعية و المادية مازالت تعيش بكلّ نشاطها و جيويتها و مازالت ـ كما كانت دائما ـ مصدر لإلهام الفنان و الشاعر بل لعلها في إطار هذه الحضارة أكثر فعالية و نشاطا منها عصور مضت "[١٦] .«و قد أدرك الشاعر في العصر الحديث أهمية توظيف الاسطورة في عمله الإبداعي حيث «حاول بعض الشعراء العرب من هاتين المدرستين (الرومانسية والرمزية) أن يتخذوا من الأساطير مادة للتلميح والإيحاء، وإغناء العمل الأدبي بطاقات رمزية جديدة، "كاستخدام جبران خليل جبران لأسطورة أدونيس وعشتروت في لقاء دمعة وابتسامة واستخدام زكي أبو شادي لأسطورة أورفيوس ويورديس، وعلي محمود طه في (أرواح وأشباح) التي عمد فيها إلى استخدام بعض الأساطير الإغريقية كأسطورة (هرميس) و(تاييس) و(سافو) و(أورفيوس)، وسعيد عقل في مسرحيتيه الشعريتين (بنت يفتاح) مستمداً موضوعها من التوراة، و(قدموس) التي تروي قصة حب بين زوس وأوروب ابنة ملك صور "[١٧]

١٦ ـ اسماعيل، عزالدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، ص ٢٢٢

١٧ ـ بلحاج، كاملي، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية الحديثة، ص ٢٥

الاحالات :

- مقال بعنوان : مدخل في الأسطورة و أهميتها //محمد عبد الرحمن يونس http://www.startimes.com/f.aspx?t=32842149
- مقال بعنوان : استعمالات الأساطير رموزاً في الشعر اليمني المعاصر : الشاعر عبدالله البردوني نموذجاً د. عبدالسلام الكبسي http://abdulsalam.alkibsi.com/?p=141
- المعجم الوجيز، ص ٣١٠.
- لسان العرب الجزء التاسع ص ١٨٢ الصادر عن دار صادر بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٠
- أساطير العالم القديم، صمويل نوح كريمر ص١١.
- عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٨م، ص ٢٠٠.
- دراعي توفيق : https://www.facebook.com/DrayTwfyq/posts/521249707931345
- الموسوعة العربية الميسرة، ١٩٦٥
- مقال : عرش بلقيس.. أسطورة يمنية تعانق التاريخ ، رويدا السقاف ، منجلة الراية السبت ١٤٣٤/١/١٨ هـ .
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ، ج١،ص٣٥٢
- اسماعيل، عزالدين، الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، ص ٢٢٢
- بلحاج، كاملي، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية الحديثة، ص ٢٥

Doi:10.12816/jnal.2021.144690

رؤية بلاغية لوصف أبليس في آيات القرآن الكريم

Rhetorical vision of describing the Devil in the verses of the Noble Qur'an

إعداد

عبير بنت إبراهيم بن عبدالله الزبيدي

Doi:10.12816/jnal.2021.144692

الاستلام: ٣٠/ ١٠/ ٢٠٢٠ القبول : ٢٠ / ١١ /٢٠٢٠

المستَخلص :

القرآن دستورنا الرباني ومعجزة نبينا الأمي الذي تحدى به الإنس والجن فعجزوا أن يأتوا ولو بآية من مثله ، و من فضل الله عليّ ثم ببركة دعاء والديّ لي أن يسر ليّ موضوع (حديث القرآن الكريم عن الشيطان الرجيم) والذي شغلني فترة من الزمن و أنا بين الإقدام والإحجام ، و لما عزمت على اختيار الموضوع شدني إليه تلك العداوة الأزلية بين بني آدم والشيطان ، الذي أخرج أبويهم من الجنة ، وأقسم أمام الله - سبحانه- على إغواء عباده أجمعين . وقد أرشدنا المولى الكريم في مواضع عديدة من كتابه إلى الحذر من الشيطان واجتناب خطواته ، وما أحوجنا لمحاربته والحذر منه لاسيما في عصر اجتمعت فيه شياطين الإنس والجان لإغواء بني الإنسان. ودراسة الشيطان دراسة موضوعية جاءت في عدة كتب منها : كتاب (تلبيس إبليس)لأبي فرج الجوزي، وكتاب(إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لمحمد بن أبي بكر الزرعي ، و من الكتب الحديثة التي تناولت موضوع الشيطان من الناحية الموضوعية كتاب (إبليس) لعباس محمود العقاد.

Abstract:

The Qur'an is our divine constitution and the miracle of our illiterate prophet who challenged mankind and the jinn, and they were unable to come even with a verse of something like him, and from the grace of God to me, then with the blessing of my parents 'supplication for me, the subject of (the Noble Qur'an hadith about the accursed Satan) which occupied me for a period of time while I was between boldness And reluctance, and when I decided to choose the subject, I was drawn to that eternal enmity between the children of Adam and Satan, who drove their parents

out of Paradise and swore before God - Glory be to Him - to seduce all His servants. The Honorable Lord has guided us in many places of his book to beware of Satan and avoid his steps, and how much we need to fight him and beware of him, especially in an age in which the demons of mankind and the elves gathered to seduce human beings. The study of the Devil is an objective study that came in several books, including: The book "Dressing the Devil" by Abu Faraj Al-Jawzi.

التمهيد :

- **إطلاقات القرآن على الشيطان :**

بين الله تعالى في كتابه الكريم أنه خلق الخلق لعبادته سبحانه فقال جلّ من قائل : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[١] والخلق أنواع منهم :

أ- الإنس : هم بنو آدم الذين خلقهم الله تعالى من الطين وكرمهم وفضلهم على الخلق أجمعين وسخر لهم المخلوقات وأسجد لهم الملائكة .

ب- الملائكة : وهم عالم روحاني مستقل له خصائصه وصفاته وأحواله .

ج- الجن : وهم نوعان : شياطين وجن، ومنهم : الصالح ومنهم الكافر ، و الشياطين أصلهم من الجن ، و ذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك .

ولما أبلس الشيطان وطُرِد من الرحمة الإلهية وانقطع من الخير كلية ، كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لا خير فيهم أصلا ، فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه ، ثم إن كل من يخبث ويتمرد وينقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطانا.[٢]

وقد قال ابن منظور : (وكل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان)[٣]

وكذلك قال ربنا جل ثناؤه :(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن)[٤]

---

١ - الذاريات / ٥٦

٢- عقيدة المؤمن : أبوبكر الجزائري :٢٢١،٢٢٢

٣- لسان العرب لابن منظور : مادة : شطن ، المجلد الرابع ، ص٢٢٦٥، دار المعارف /ط١٤٠١هـ-١٩٨١م

٤ - الأنعام /١١٢

"وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطانا لمفارقة أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعالهم ، وبعده عن الخير "[٥]

والشيطان هو : " روح شرير مغوٍ ، وكل متمرد مفسد ، والحية الخبيثة ، ويقال في تقبيح الشيء : كأنه وجه شيطان ، أو رأس شيطان ، وفي التنزيل العزيز في وصف شجرة جهنم : (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)[٦]

ويقال : ركبه شيطانه : غضب ولم يعبأ بالعاقبة ، ونزع عنه شيطانه : استمسك بالحلم . وشيطان الفلاة : العطش ، وشيطان الشاعر في معتقد أهل الجاهلية – جني كانوا يزعمون أنه يلهم الشاعر ، قال الراجز : فإن شيطاني أمير الجن " [٧]

وورد لفظ الشيطان في القرآن مفرداً معرفاً في ست وستين موضعاً، وجاء مفرداً نكرة ست مرات كما ورد مجموعا ثمان عشرة مرة ، وأُطلِق اسم إبليس على الشيطان الذي عصى الله وامتنع عن السجود لآدم إحدى عشرة مرة.

ومعنى إبليس : "من أبلس الرجل : قطع به . وأبلس سكت . وأبلس من رحمة الله أي يئس وندم ، ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل وفي التنزيل العزيز : (يومئذ يبلس المجرمون) وإبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس . وقال أبو إسحاق لم يصرف لأنه أعجمي معرفة " [٨]

وللعلماء في حقيقة إبليس رأيان :

أحدهما : أنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم متصفا بصفاتهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[٩] .

ثانيهما : أنه كان من الملائكة ، لأن خطاب السجود كان مع الملائكة ، ولأن الظاهر من هذه الآية وأمثالها أنه منهم ، قال البغوي وهو الأصح ، وقال في التيسير: "أن وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم دليل على تصور العصيان منهم،و لولا ذلك ما مدحوا به ، ولكن طاعتهم طبع وعصيانهم تكلف ، وطاعة البشر تكلف ومتابعة الهوى منهم طبع ، ولا يستنكر من الملائكة تصور العصيان فقد ذكر عن هاروت وماروت ما ذكر ، وليس هناك دليل على أن بين الملائكة والجن فروقا جوهرية بها يمتاز أحدهما

٥ - جامع البيان (٤٩/١) ابن جرير الطبري
٦ - الصافات / ٦٥
٧ - معجم الوسيط /د. إبراهيم أنيس ورفاقه /ط٢/ج١/ ص٤٨
٨ - لسان العرب / ج١ ، ص٣٤٣
٩- سورة الكهف /٥٠

عن الآخر ، بل هي فروق في الأوصاف فقط ، و الجميع من عالم الغيب لا نعلم حقائقها ولا نضيف إليها شيئا إلا إذا ورد به نص عن المعصوم"[١٠]

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال عدد من العلماء ، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة ، وهذا الرأي مجانب للصواب ولما عليه العلماء، قال ابن كثير : " وقد روي في هذا – يعني أن إبليس من الملائكة - آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها،و الله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه ؛ لمخالفته للحقّ الذي بأيدينا . وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفّاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالبين ، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة ، والعلماء ، والسادة ، والأتقياء ، والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث ، وحرروا وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ، ومتروكه ، ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين ، والكذابين ، والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال . كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، والمقام المحمدي خاتم الرسل ، وسيد البشر – صلى الله عليه وسلم – أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس فيه " [١١]

وما احتجوا به من أن الله سبحانه استثنى إبليس من الملائكة ليس دليلاً قاطعاً ، لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً ، بل هو كذلك حقا ، للنصّ على أنّه من الجن في قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[١٢]

وقد ثبت بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس ، قال الحسن البصري : " لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين "[١٣] . والذي حققه ابن تيمية : " أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته ، و ليس منهم باعتبار أصله ، ولا باعتبار مثاله " [١٤]

والأرجح أن إبليس لم يكن من الملائكة بل هو من الجن ، كما صرح القرآن الكريم بذلك .

الفرق بين الجن والشياطين :

---

١٠ - تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي / شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي / ط١ ،ج١ ،ص ٨٤-٨٥

١١ - تفسير ابن كثير : ٣٩٧/٤

١٢ - الكهف /٥٠

١٣ - البداية والنهاية : ٧٩/١

١٤ - مجموع الفتاوى : ٣٤٦/٤

"الأكثر أن يخص باسم الجن نوع لا يخالط خواطر البشر ، ويخص باسم الشياطين نوع دأبه الوسوسة في عقول البشر بإلقاء الخواطر الفاسدة "[١٥]

من ذلك يمكن الخلوص إلى أمور هي :

- الشيطان في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بعد، يقال : شطنت الدار ، إذا بعدت . وسمي الشيطان شيطاناً لأنه بعد بطبعه عن طباع البشر بفسقه وتمرده على ربه وبعده عن كل خير. والشطن هو الحبل الممتد ، يعني أن هذا الشيطان يمتد إليك فكن حذراً منه.
- وقيل: " مشتق من شاط ؛ لأنه مخلوق من نار

و كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب؛ كما قال أمية بن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام:

أيما شاطِنٍ عصاه عكاه ثمّ يُلْقى في السِّجْن والأغلال فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط

وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فَعَل فِعْل الشيطان ولو كان من شاط لقالوا: تشيط.

والشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا ، و معنى ذلك أن لفظ الشيطان يطلق على كل من خالف طبيعة بني جنسه من الإنس ومن الجن حتى الدواب ، و جعل من الإنس شياطينَ، مثلَ الذي جعل من الجنّ.حتى إن عمر بن الخطاب جاءوه بحمار يركبه ، فصار يجري به ويرفس ، فقال : أفٍ، إنما جئتموني بشيطان " [١٦]

فالشيطان سمي شيطانٌ ، لبعده بتمرده وفسقه عن طبيعة بني جنسه.

- ويظهر بعد ذلك أنَّ القرآنَ الكريم لا يطلق كلمة" إبليس" إلا على أول الشياطين وجوداً وهو المأمور بالسجود ،ولو أنَّ كلمة" إبليس" استخدمت في سياق الإغواء والإغراء لكان في هذا إقناط عظيم لبنى آدم ، ولكن فيض الرحمانية والرحيمية تجلى في اصطفاء كلمة "الشيطان " في هذا السياق.

وهذا من لطائف المعاني الإحسانية للقرآن الكريم التي لا يلتفت إليها إلا أهل الإحسان من علماء الأمة في فقه بيان القرآن الكريم .

الفصل الأول

مواضع حديث القرآن عن الشيطان وعلاقتها بنسق بناء السورة القرآنية

١- الشيطان في قصص الأنبياء :

---

١٥ - التحرير والتنوير /ج١٤/ص٣٢

١٦ - تفسير ابن كثير / مج :١/ ص:١٧٥،١٧٦

إن النظام العجيب الذي ينفرد به القرآن الكريم في كافة موضوعاته وأساليبه يجعلنا نقف أمامه عاجزين مقرين بأنه من لدن عزيز حكيم والقصص القرآني أسلوب من أساليب القرآن الكريم " وورد القصص في القرآن الكريم في مواضع ومناسبات ، وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة ، والحلقة التي تعرض منها ، والصورة التي تأتي عليها والطريقة التي تؤدي بها "[١٧]

"والمناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء والقرآن كتاب دعوة ، ودستور نظام ، ومنهج حياة ... وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار ، بالقدر وبالطريق التي تناسب الجو والسياق "[١٨]

- **مع آدم :**

وجاءت هذه القصة في سبع سور : البقرة ، الأعراف ، الحجر، الإسراء، الكهف، طه ، ص و على الرغم من تكرار هذه القصة في مواضع من الكتاب الكريم فإنها في كل موضع سيقت لفائدة غير ما جاءت له في المواضع الأخرى ، على اختلاف أساليبها، وعباراتها ، ولا غرو فهي من نسج العليم الخبير ٠

✍ ففي أوائل سورة البقرة جاء ذكر القصة بعد ذكر الإماتة والإحياء والرجوع إليه تعالى ، وفي الأعراف بعد ذكر يوم القيامة والموازين فيه ، وفي الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما أعد من الجنة والنار لخلقه ، فحيث ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدأهم وقصته مع عدوه إبليس ليحذر البشر من كيده، و ينظروا ما جرى لأبيهم معه وإخراجه إياه من الجنة مقر السعادة والراحة إلى الأرض مقر التكليف ، والتعب فيتحرزوا من كيده .

وقصة الشيطان مع آدم جاءت في سورة البقرة مناسبة لسياق السورة ، فسياق سورة البقرة : " يستعرض موكب الحياة بل موكب الوجود كله ، ثم يتحدث عن الأرض في معرض آلاء الله على الناس ، فيقرر أن الله خلق كل ما فيها لهم ... فهنا في هذا الجو تجيء قصة استخلاف آدم في الأرض ، ومنحه مقاليدها ، على عهد من الله وشرط. وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة كما أنها تمهيد للحديث عن استخلاف بني إسرائيل في الأرض بعهد من الله ثم عزلهم عن هذه الخلافة وتسليم مقاليدها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله فتتسق القصة مع الجو الذي تساق فيه كل الاتساق "[١٩] حيث "جعل الله سبحانه هذا التذكير في سياق داعٍ إلى عبادته ، وقائدٍ إلى محبته حيث امتن إلى هذا النوع الآدمي بنعمه عليهم ، وإحسانه إليهم قبل إيجادهم ، فذكر لهم ما حاجّ به

١٧ - في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم/ دار الشروق ،ج١،ص٥٥

١٨- المرجع السابق ، ص٥٥

١٩ - في ظلال القرآن :سيد قطب إبراهيم/ دار الشروق ،ج١،ص٥٥

ملائكته عنهم ، وما شرف به أباهم آدم من العلم ، وأمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه ، وهما عبدان من عبيده فتاب عليه ، ولم يتب على إبليس ، مع سبقه له بالعبادة بل أوجب طرده ، وأبعده[٢٠]

مناسبة هذه الآية لما قبلها : أن الله تعالى لما شرف آدم بفضيلة العلم ، و جعله معلما للملائكة ، وهم مستفيدون منه مع أنهم قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؛ أراد الله أن يكرم هذا الذي استخلفه بأن يُسْجِد له ملائكته؛(ليظهر بذلك مزية العلم على مزية العبادة قال الطبري : قصة إبليس تقريع لمن أشبهه من بني آدم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد مع علمهم بنبوته ومع قدم نعم الله عليهم وعلى أسلافهم) [٢١].

وقوله تعالى : (أبى واستكبر وكان من الكافرين) استئناف بياني لأن امتناع إبليس عن السجود لآدم يثير في النفس سؤالا :كيف لم يفعل إبليس ما أمره الله به وكيف خالف حال جماعته وما سبب ذلك لأن مخالفته لحالة الجماعة حالة شاذة إذ المعتاد الموافقة بين الجماعات .

وأن الله لما شرف آدم برتبة العلم ، و بإسجاد الملائكة له امتن عليه بأن أسكنه الجنة،وأباح له كل شيء فيها إلا الشجرة ؛ وقد كان خروج آدم من الجنة بسبب إغواء الشيطان له " وحكمة ذلك أي : نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسببه ، أن الله عز وجل يعطي عباده الخير بواسطة وبلا واسطة ولا ينالهم شر إلا بواسطة النفس،كما وقع من الإباء للشيطان ، فكانت خطيئته في ذات نفسه ، أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم فكانت خطيئته ليست من ذات نفسه ، وعارضة عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه ، من زوجه التي هي من أدنى خلقه ، فمحت التوبة الذنب العارض لآدم ، وأثبت الإصرار الإباء النفساني للشيطان ؛ وذكر تعالى الإزلال منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما في معنى الشيطنة من البعد والسرعة التي تقبل التلاقي ، ولما في معنى الإبلاس من قطع الرجاء ، فكان في ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة " [٢٢]

✍ أما في سورة الأعراف فقد كان الحديث عن قصة آدم ، وموقف الشيطان منه متسقا مع مقاصد السورة التي كان منها : تذكير الناس بنعمة خلق الأرض وتمكين النوع الإنساني من خيرات الأرض ، وبنعمة الله على هذا النوع بخلق أصله وتفضيله،وما نشأ من عداوة جنس الشيطان لنوع الإنسان ، وتحذير الناس من مكر الشيطان ؛ ليحرمهم من النعيم والفوز برضا الرحمن ، وليوقعهم في العذاب الشديد .

عطفت هذه الآية على جملة : (ولقد مكناكم في الأرض) ،و هي تذكير بنعمة إيجاد النوع ، التي هي نعمة عناية ، لأن الوجود أشرف من العدم ، بقطع النظر عما قد يعرض

---

٢٠ - نظم الدرر/ ج١/ ص٢٣٥،٢٣٦

٢١ - البحر المحيط : لأبي حيان التوحيدي /دار الكتب العلمية ،ج١ ،ص ٣٠١

٢٢- نظم الدرر: للبقاعي / دار الكتاب الإسلامي ج١،ص٢٨٨،٢٨٩

للموجود من الأكدار والمتاعب ، وبنعمة تفضيله على النوع حيث أمر الملائكة بالسجود لأصله " وأدمج في هذا الامتنان تنبيهاً وإيقاظاً إلى عداوة الشيطان لنوع الإنسان من القِدم ، ليكون ذلك تمهيدا للتحذير من وسوسته وتضليله ، وإغراء بالإقلاع عما أوقع فيه الناس من الشرك والضلالة ، وهو غرض السورة ، وكان هذا بمنزلة الاستدلال وُسِّط في خلال الموعظة) [٢٣]

هنا تتضح حقارة إبليس ودناءته بعد عزة الملكية وشرفها انقلبت مرامي همته إلى التعلق بالسفاسف ، فسأل النّظرة بطول الحياة إلى يوم البعث ، إذ كان يعلم قبل ذلك أنه من الحوادث الباقية لأنه من العالم الباقي ، و لما هبط إلى الأرض ظن أنه صائر إلى العدم فلذلك سأل الإمهال إبقاء لما كان له من قبل ، وهذا كله بتقدير الله وعلمه سبحانه وتعالى ، وجاء من إبليس طلب الإمهال، قال الله تعالى : (إنك من المنظرين) أي إنك من المخلوقات الباقية إلى يوم القيامة .

" دل مضمون ذينك الكلامين أن الله خلق في نفس إبليس مقدرة على إغواء الناس بقوله : (إنك من الصاغرين) وأنه جعله باقيا متصرفا بقواه الشريرة إلى يوم البعث ، فأحس إبليس أنه سيكون داعية إلى الضلال والكفر ، بجبلة قلبه الله إليها قلبا وهو من المسخ النفساني ، وأنه فاعل ذلك لا محالة مع علمه بأن ما يصدر عنه هو ضلال وفساد ، فصدور ذلك منه كصدور النهش من الحية ، وكتحرك الأجفان عند مرور شيء على العين ، وإن كان صاحب العين لا يريد تحريكهما"[٢٤]

وفي خطاب آدم بحضور إبليس بهذه المزية بإسكانه الجنة بعد طرد إبليس زيادة إهانة وإذلال له لأن مكافأة المحسن أمام المسيء زيادة حسرة وندامة على المعاقب بعد إساءته ويظهر بذلك التفاوت بين مستحق الإحسان ومستحق المعاقبة جزاء العصيان .

" ففي هذا الأمر بمسمع من إبليس ، مقمعة لإبليس ، لأنه إن كان إبليس مستقرا في الجنة من قبل ، فالقمع ظاهر ، إذ أطرده الله وأسكن الذي تكبر هو عن السجود إليه في المكان المشرّف الذي كان له قبل تكبره ، وإن لم يكن إبليس ساكنا في الجنة قبل فإكرام الذي احتقره وترفع عليه قمع له ، فقد دل موقع هذا الكلام ، في هذه السورة ، على معنى عظيم من قمع إبليس ، زائدا على ما في آية سورة البقرة ، وإن كانتا متماثلتين في اللفظ ، ولكن هذا المعنى البديع استفيد من الموقع وهذا من بدائع إعجاز القرآن . ووجد إيثار هذه بهذه الخصوصية : إن هذا الكلام مسوق إلى المشركين الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله ، فأمّا ما في سورة البقرة فإنه لموعظة بني إسرائيل ، وهم ممن يحذر الشيطان ولا يتّبع خطواته"[٢٥]

---

٢٣ - التحرير والتنوير ج٨،ص٣٦

٢٤ - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / الدار التونسية للنشر /ج ٨/ص:٤٦

٢٥ - التحرير والتنوير/ ج ٨ ،ص :٥٣

الحديث هنا متصل في الكلام عن النشأة الأولى للبشر وفي شياطين الجن ، و ذكرت تمهيدا للحديث عن هداية الناس بما يتلوها من الآيات الوعظية والإرشادية [٢٦] وفي ذكر قصة بداية الخلق امتنان علي البشر ، وذكر لكرامة أبيهم .

وذكر الله تعالى قصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سننه فيهم من تسلط الشيطان عليهم ، وكيده وأنه عدو لهم .

فبعد ذكر الآيات قصة هبوط آدم وحواء إلى الأرض جاء ذكر عداوة الشيطان لهما لبيان أن عداوته مستمرة لبنيهما و ذكر هنا أنه أنزل لآدم ولبنيه كل ما يحتاجون إليه في دينهم ، ودنياهم :كاللباس الذي يسترون به عوراتهم ويتخذونه للزينة ولباس الحرب كالمغافر[٢٧] ، و الجواشن[٢٨] ،ونحوها ، فعليهم أن يشكروه تعالى على هذه المنن العظام ويعبدوه وحده لا شريك له .

قصة آدم مع الشيطان في سورة الأعراف تختلف عما ذكر في سورة البقرة حيث بسط فيها ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد ، وتصور خيريته بخلقه من النار، و طلبه الإنظار ، والتسلط على ذرية آدم ، والإذن له في ذلك ، ووعيده ووعيد متبعيه. ثم أخذه في الوسوسة إلى آدم عليه السلام : (وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين) وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة .

وفي سورة الحجر : ذكر ابتداء الخلق ؛ ليدل على الإعادة لاحقا " لما جرت سننه الإلهية أنه - تعالى- يذكر ابتداء الخلق دليلا على الإعادة سابقا ولاحقا ، وابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه الدليل بإحياء الأرض ، وتوقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذي هو أدل دليل على البعث بعد إجماله في قوله (وإنا لنحن نحي) لما نبه تعالى على منتهى الخلق ، وهو الحشر يوم القيامة إلى ما يستقرون فيه ، نبههم على مبدأ أصلهم آدم وما جرى لعدوه إبليس من المحاورة مع الله تعالى " [٢٩]

نقطة التركيز في السياق هي سر التكوين في آدم ، وسر الهدى والضلال ، وعواملهما الأصيلة في كيان الإنسان . . ومن ثم نص ابتداءً على خلق الله آدم من صلصال من حمأ مسنون ، ونفخ فيه من روحه المشرق الكريم ، وخلق الشيطان من قبل من نار السموم . ثم عرض حكاية سجود الملائكة وإباء إبليس استنكافا من السجود لبشر

---

٢٦ - وذلك في الآيات التي تليها من قوله تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) الأعراف /٢٨

٢٧ - والمغافر جمع مغفر ، والمِغفرُ: زرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس ، يُلبس تحت القلنسوة (ج) مغافر : / مختار الصحاح : مادة:غفر / ص ١٣٩

٢٨ - جمع جوشن ، لفظ معرب ، وهو الدرع الذي يغطي الصدر / مختار الصحاح : مادة جشن / ص٣٧٢

٢٩ - البحر المحيط / ج٥/ ص :٤٤٠

من صلصال من حمأ مسنون ، وطرده ولعنته ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته، وزاد أن إبليس قرر على نفسه أن ليس له سلطان على عباد الله المخلصين ؛ إنما سلطانه على من يدينون له ولا يدينون لله وانتهى بمصير هؤلاء وهؤلاء في غير حوار ولا عرض ولا تفصيل تبعا لنقطة التركيز في السياق ، وقد استوفيتْ ببيان عنصري الإنسان ,وبيان مجال سلطة الشيطان " [٣٠]

مناسبة هذه الآيات لما قبلها من وجهين :

الأول : منازعة كفار قريش للرسول صلى الله عليه وسلم واقتراحهم الآيات عليه وكل ذلك بسبب كبرهم وحسدهم للرسول صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله فناسب مجيء قصة آدم في هذا السياق لأن ما حمله على العصيان والامتناع من السجود إنما هو الكبر والحسد

والثاني : أنه لما قال (فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) بين سبب هذا الطغيان ، وهو قول إبليس (لأختنكن ذريته إلا قليلا) والمراغي يقول في إيضاح حسد إبليس لآدم عليه السلام : " بعد أن ذكر سبحانه أن الرسول صلى الله عيه وسلم كان في محنة من قومه إذ كذبوه وتوعدوه حين حدثهم بالإسراء وشجرة الزقوم ، أو أنهم نازعوه وعاندوه ،و اقترحوا عليه الآيات ؛ حسداً على ما آتاه الله من النبوة ، وكبراً أن ينقادوا إلى الحق؛بين أن هذا ليس ببدع من قومك ، فقد لاقى كثير من الأنبياء من أهل زمانهم مثل ما لاقيت ؛ ألا ترى أن آدم عليه السلام كان في محنة شديدة من إبليس ،وأن الكبر والحسد هما اللذان حملاه على الخروج من الإيمان والدخول في الكفر ؛والحسد بلية قديمة ومحنة عظيمة للخلق " [٣١]

✍ أما في سورة الكهف فإن الله لما ذكر البعث وختمه بإحسانه بالعدل بين عباده،أتبعه ببيان فضله بابتداء الخلق في سياق يُذكر بولاية الله الموجبة للإقبال عليه،وعداوة الشيطان الموجبة للحذر منه ، مُبيناً ما قابلوا به عدله من الظلم بفعلهم كما فعل إبليس من قبل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله ، فتكبروا على فقراء المؤمنين بأصلهم وأموالهم وعشائرهم ، فكان فعلهم كفعل الشيطان فهو قدوتهم مع أنه في الحقيقة عدوهم ، ولم يقتدوا بخير خلقه .

جاء الحديث عن موقف إبليس متسقا مع مقاصد السورة ، حيث جاءت الآيات التي تتحدث عن الشيطان بعد أن ذكر الله سبحانه رده على أولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المؤمنين بأموالهم ، وقالوا كيف نجلس مع هؤلاء ونحن من أنساب شريفة ، وهم من أنساب وضيعة ، ونحن أغنياء وهم فقراء ؟ ثم ذكر بعد ذلك عصيان إبليس لأمره تعالى بالسجود لآدم ، لأن الذي حداه إلى ذلك هو :كبره وافتخاره على آدم بأصله

[٣٠] - في ظلال القرآن / مج:٤/ ص: ٢١٣٧

[٣١] - تفسير المراغي /لأحمد مصطفى المراغي / شركة مكتبة ومطبعة البابلي الحلبي: ج ١٥،ص٦٩

وأساس خلقه ، إذ قال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) فإبليس يدعي أنه أشرف منه أصلاً فكيف يسجد له ! تنبيها إلى أن طريقة المشركين السالفة هي بعينها طريقة إبليس ، ثم حذر سبحانه منه في قوله : (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) .

المقصود من سورة طه الإعلام بالحلم ، والأناة ، والتلطف في دعوة النائي مع القدرة فذكر فعلة آدم عليه السلام هذه ، في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان ، وذُكرت القصة مرتين : الأولى مجملة ، والثانية مفصلة ؛ ليكون ذلك أكثر تأكيدا للمعنى المشار إليه ؛ وليحذر بنوه من وسوسة الشيطان ويحتاطوا من شروره،و من أطاع الشيطان منهم ذُكِر بما جرى لأبيه آدم معه ، وأن عداوة الشيطان أُوضحت له ، ومع ذلك نسي ما عهد إليه ربه .

وفي الربط بين قوله تعالى :(رب زدني علما) وورود قصة آدم مع إبليس معنى جميل لأن في ذكر تلك القصة مزيد علم للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل من تبعه

ويرى المراغي أن الله سبحانه وتعالى " لما ذكر أنه صرف الوعيد في القرآن وكرره لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ، قفى على هذا ببيان أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك ونسوه كما لم يلتفت أبوهم آدم إلى الوعيد ، ونسي العهد ،فمخالفتهم قديمة وعرقهم فيها راسخ. ثم فصل عهده لآدم وبين كيف نسيه وفقد العزم ، ثم ذكر عصيان إبليس للسجود لآدم وتحذيره من الخروج من الجنة إذا هو اتبع نصائحه" [٣٢]

✍ وفي سورة ص جاء الحديث عن قصة إبليس وإباءه للسجود في قوله تعالى :

يرى البقاعي أن لتسميتها ارتباطاً وثيقاً بمقاصدها ، فحرف الصاد " مخرجه من أمكن مخارج الحروف وأوسعها وأخفها وأرشقها وأغلبها ،ولأن ماله من الصفات العالية أكثر من ضدها وأفخم وأعلى وأضخم ، ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن على أيديهم إهلاك ، بل ابتلوا وعرفوا وسلمهم الله من أعدائهم من الجن والإنس " [٣٣] .

مبنى السورة على استكبار الكفرة ، وكونهم في عزة ، وشقاق ، وذكر قصة آدم مع إبليس تبين أن المانع له من السجود الكِبر ؛ تنفيرا منه .

وقصة خلق أدم مع إبليس تقدم ذكرها في سور كثيرة أشبهها بما في سورة ص ما في سورة الحجر ، وأبينها ما في سورة البقرة ووقع في سورة الحجر (إلا إبليس استكبر) وما في هذه السورة يبين الباعث على الإباء .

والغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر ، والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله تعالى ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها :أنه تعالى لما ذكر قصة مريم وابنها عيسى ، واختلاف الأحزاب فيهما ، وعبادتهما من دون الله - وكانا من قبيل من قامت بهما الحياة - ذكر الفريق الضال الذي عبد جمادا والفريقان وإن اشتركا في

---

[٣٢] - تفسير المراغي / ج: ٦/ ص: ١٥٨،١٥٧

[٣٣]- نظم الدرر للبقاعي / دار الكتاب الإسلامي، ج١٦،ص ٣٢١

الضلال ، فالفريق العابد الجماد أضل ، ثم ذكر قصة إبراهيم مع أبيه عليه السلام تذكيرا للعرب بما كان إبراهيم عليه من توحيد الله ، وبيان أنهم سلكوا طريقا غير طريقة ، ويدل ذلك على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به،و أن ما يخبر به وحي من ربه ، و إبراهيم عليه السلام ابتدأ بأمر أبيه بإتباعه و نهيه عن عبادة الشيطان ، وعبادته كونه يطيعه في عبادة الأصنام ، ونَفَرَه عن عبادة الشيطان بأنه كان عصيا للرحمن .

وإبراهيم عليه السلام " لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايات الشيطان إلا كونه عاصيا لله ، ولم يذكر معاداته لآدم عليه السلام ؛ كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان غمى فكره وأطبق على ذهنه ، وأيضا فإن معصية الله تعالى لا تصدر إلا عن ضعيف الرأي ، ومن كان كذلك كان حقيقا أن لا يلتفت إلى رأيه ولا يجعل لقوله وزن "[٣٤]

- وجاء ذكر الشيطان مع يوسف عليه السلام في سورة يوسف في ثلاث آيات حيث أن رؤيا يوسف عليه السلام دلت يعقوب عليه السلام على أن الله تعالى يبلغه مبلغا من الحكمة ، ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه من حسد إخوته فنهاه من أن يقص رؤياه لهم وفي خطاب يعقوب لابنه يوسف ونهيه عن أن يقص على أخوته مخافة كيدهم ؛ دلالة على تحذير المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه .

مناسبة ذكر الشيطان هنا : أن العادة جارية بأن شفقة الأخوة تمنع من مثل ذلك فعلل الله سبحانه ذلك بقوله : (إن الشيطان .....) ؛ ويدل على أن الرؤيا أمرها مهم فلا ينبغي أن تقص إلا على شفيق ناصح .

"والسبب في هذا الكلام أنهم لو أقدموا على الكيد لكان ذلك مضافا إلى الشيطان ونظيره قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان "[٣٥] فقوله : (إن الشيطان للإنسان ....) واقعة موقع التعليل للنهي عن قص الرؤيا على أخوته لأن عداوة الشيطان لجنس الإنسان تحمله على دفع الناس لإيقاع الضرر بعضهم ببعض.

ذِكرُ الشيطان في هذه الآية جاء متفقاً مع سياق الآيات ، فالآية هنا تتحدث عن نسيان يوسف ذكر ربه حتى طلب الفرج من مخلوق مثله ، وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام ومع أن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جائزة في الشريعة إلا أنه لما كان يوسف في أعلى المقامات وأشرف المراتب، وفي منصب النبوة والرسالة صار مؤاخذاً بهذا القدر من الاستعانة ونسب نسيانه لذكر ربه إلى الشيطان.

الآية هنا تصور حال يوسف عليه السلام بعد أن تحققت الرؤيا ، وتوضح لنا موقف يوسف مع أبويه وأخوته فهو عليه السلام يُرجع ما حصل بينه وبين أخوته لنزغ الشيطان

---

[٣٤] - تفسير الرازي /ج٢١/ ص٢٢٧

[٣٥]- تفسير الرازي / ج١٨/ص٩١

، أي :من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي ، وقطع ما بيننا من وشيجة الرحم ، وهيج الحسد والشر ؛ وذِكرُ الشيطان لإسناد النزغ إليه لأنه الموسوس .

تحدثت الآيات عن تكذيب من كذب بالنبي صلى الله عليه وسلم ، و بينت أن ذلك كان بتسليط الله الشياطين عليهم بوسوستهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك وقص عليه من أخبار الأوابين تعليما لحسن الأوبة إن وهن الصبر ، واتبعه بالإخبار عن الصابر الأواب الذي لم يتأوه إلا من وسوسة الشيطان لزوجه بما كان يفتنها ليزداد النبي صلى الله عليه وسلم بذكر هذه الأخبار صبرا ويتضاعف إقباله على الله تعالى .

بعد أن ذكر سبحانه قصص المشركين الذين كانوا يفتخرون على فقراء المؤمنين بكثرة الأموال والأنصار ، وامتنعوا عن حضور مجلس النبي- صلى الله عليه وسلم- لئلا يشتركوا مع أولئك الصعاليك في مجلس واحد ، قفى على ذلك بذكر قصص موسى عليه السلام مع الخضر ؛ ليبين بها أن موسى مع كونه نبيا صادقا أرسله الله إلى بني إسرائيل بشيرا ونذيرا وهو كليم الله ، أُمر أن يذهب إلى الخضر ؛ ليتعلم منه ما لم يعلمه ؛ وفي ذلك دليل على أن التواضع خير من التكبر .

" هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى ، وهي : أن موسى عليه السلام ذهب إلى الخضر عليه السلام ليتعلم منه العلم ، هذا وإن كان كلاما مستقلا في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود في القصتين السابقتين . أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والأنصار ، فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه ، وعمله ، وعلو منصبه ، واستجماع موجبات الشرف التام في حقه ، ذهب إلى الخضر ؛ لطلب العلم ، وتواضع له ، وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر ، وأما نفع هذه القصة في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا لكفار مكة : إن أخبركم محمد عن هذه القصة فهو نبي وإلا فلا ، وهذا ليس بشيء لأنه لا يلزم من كونه نبيا من عند الله تعالى أن يكون عالما بجميع القصص والوقائع ، كما أن كون موسى عليه السلام نبيا صادقا من عند الله لم يمنع من أمر الله إياه بأن يذهب إلى الخضر ليتعلم منه ، فظهر بما ذكرنا أن هذه القصة قصة مستقلة بنفسها ، ومع ذلك فهي نافعة في تقرير المقصود في القصتين المتقدمتين" [٣٦]

مناسبة ذكر الشيطان هنا أن موسى عليه السلام لما طلب الحوت ، ذكر يوشع* ما رأى منه ، وما حصل له من نسيانه إلى تلك الغاية ، فدهش وبدأ يسأل موسى-عليه

---

٣٦ - تفسير الرازي ج٢١، ص١٤٤

* هو يوشع بن نون وإنما قيل : فتاه ؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه ، وقيل كان يأخذ منه العلم الكشاف ج٣ ص ٥٩٥-٥٩٦

السلام – عن سبب ذلك ، كأنه قال : أرأيت ماذا دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت وما أنساني ذكره إلا الشيطان .

يذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على موسى عليه السلام وما أفاض به عليه في الصغر من إنجائه من الهلاك ، بعد وضعه في التابوت ، وإلقائه في النيل ، وإنجائه من الذبح الذي عم أبناء بني إسرائيل ،ثم أردفه بذكر ما أنعم به عليه في كبره من إيتائه العلم والحكمة ،ثم إرساله رسولاً ونبياً إلى بني إسرائيل و المصريين ،ثم بذكر ما حصل منه من قتل المصري ، الذي اختصم مع اليهودي بوكزه بجُمْع يده ، وكان ذلك سببا في موته ، ثم طلبه المغفرة من ربه على ما فعل ، وما فعله كان من عمل الشيطان أي:لأني لم أُؤمر به على الخصوص ، ولم يكن من قصدي وإن كان المقتول كافرا ؛ ثم أخبر عن حال الشيطان بما هو عالم به ، ليؤكد ذلك وليحمل نفسه على الاحتراس والحذر من الشيطان .

يبين سبحانه في هذه الآيات حالاً من أحوال الكفار ، من جحود ، وعناد، ومعاداة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي اشتغالهم بصناعات وأعمال صادة عن الأديان من صنع شياطين الإنس والجن ، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة والطلسمات التي نسبوها إلى سليمان وزعموا أن ملكه كان قائما عليها .

وهذه أباطيل منهم وسوسوا بها إلى بعض المسلمين فصدقوهم فيما رموا به سليمان من الكفر ، ولا يزال حال الدجالين من المسلمين إلى اليوم يتلون العزائم ويخطون خطوطا ويعملون طلسمات يسمونها خاتم سليمان ، وعهودا يزعمون أنها تحفظ من يحملها من اعتداء الجن والعفاريت .

" وإنما قص القرآن علينا هذه القصص للذكرى ، وليبين لنا ما افتراه أهل الأهواء على سليمان من أمر السحر فكان صاداً عن العمل بالدين ، وأحكامه لدى اليهود ومن لم يهتدوا بالنبي الذي بشر به كتابهم "[٣٧]

بعد أن ذكر الله ما أنعم به على نوح عليه السلام من النعم الجليلة قفى على ذلك بذكر الإحسان العظيم الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام .

ومن تلك النعم أنه تعالى " أنعم على سليمان بتسخير الريح العاصفة التي تجري بأمره ، وبتسخير الشياطين تغوص في البحار لتخرج له اللؤلؤ والمرجان ، وتعمل له أعمالا أخرى غير ذلك " [٣٨].

دعا سليمان ربه أن يؤتيه ملكاً لا يكون لغيره فأخبر الله أنه أجاب دعاءه ، بإيتائه ملك لا ينبغي لأحد غيره ووفقه لتحصيل ما أراده وعدد نعمه عليه ، والآيات فيها تعداد لنعم الله على نبيه سليمان عليه السلام.

---

[٣٧] - تفسير المراغي /ج١/ص١٧١

[٣٨] - تفسير المراغي / ج:٧ /ص٥٧

ومنها : أن الله سبحانه وتعالى سخر له الشياطين في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص في الماء ، ومن لم يطع أمره وضعه في السلاسل والأغلال كفاً لشره ، وعقابا له ، وعبرة لغيره .

✍ وفي قصة الهدهد مع سليمان جاء ذكر الشيطان حين أراد الهدد الاعتذار إلى سليمان فساق الحجج لغيابه فـ(أخبر أولا بإطلاعه على ما لم يطلع سليمان تحصنا من العقوبة بزينة العلم الذي حصله ، فتشوف السامع إلى علم ذلك ، ثم أخبر ثانيا بتعلق ذلك العلم وهو أنه من سبأ ، وأنه أمر متيقن لا شك فيه فزاد تشوف السامع إلى سماع ذلك النبأ . ثم أخبر ثالثا عن الملك الذي أوتيته امرأة ، وكان سليمان عليه السلام قد سأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم أخبر رابعاً ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال (وأوتيت من كل شيء) وقوله (ولها عرش عظيم) ..... أخبره خامسا بما يهزه لطلب هذه الملكة ودعائها إلى الإيمان)[٣٩]

"بعد أن بين سبحانه أن الدين الحق هو الإسلام والتوحيد ، وأن اختلاف أهل الكتاب فيه أنما هو للبغي والحسد ، وأن الفوز والفلاح منوط لإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته – ذكر هنا من أحبهم واصطفاهم وجعل منهم الرسل الذين يبينون للناس طريق محبته ، وهي الإيمان به مع طاعته والعمل بما يرضيه " [٤٠]

وممن اصطفاهم الله وأحبهم امرأة عمران التي أنجبت مريم البتول ،ومريم في لغتهم تعني العابدة ، فأرادت –امرأة عمران- بذلك التقريب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ؛ ولذلك أتبعت ذلك بطلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان وإغوائه .

- **الشيطان في قصص الأمم السابقة :**

مناسبة هذه الآية لسياق السورة أن الله سبحانه وتعالى يبين هنا حلمه بخلقه مع كل ما تقترفه أيديهم وظلمهم لأنفسهم وأن الله يمهلهم بالعقوبة ؛ إظهاراً لفضله ورحمته،ولو أخذهم بما كسبت أيديهم ما ترك على ظهر الأرض دابة ، لكنه سبحانه حليم ستار، وينظرهم إلى أجل مسمى ، ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم عما كان يناله من أذى قومه وبين له بأنهم ليسوا ببدع في الأمم ، فقد أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبلك فكذبوهم فلك بهم أسوة ، فلا يحزنك تكذيبهم ونسب تزيين الأعمال الضالة إلى الشيطان ليبين أنه السبب فيها .

سورة الأنعام كلها في محاجة المشركين ، وغيرهم من المبتدعة ،و القدرية ، وأهل الملل الزائغة،و عليها مبنى أصول الدين ؛ لاشتمالها على التوحيد ، والعدل ، والنبوة

---

[٣٩]- البحر المحيط /ج ٧/ص ٦٥

[٤٠] - تفسير المراغي /ج٣/ص١٣

وإبطال مذاهب الملحدين ، وبعد أن أقام الله في الآية السابقة لهذه الآية الدليل على توحيده،و أقام عليهم الحجة أن التضرع الصادق يكشف البلاء - بإذن الله تعالى- أخبرهم أن تركه يوجب الشقاء ، ترغيباً في المداومة عليه ، وترهيباً من مجانبته وفي ذلك موعظة للمعرضين عن آيات الله والمكذبين ، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة من قبلهم ، والكافرين بنعم الله ، وأنهم لا يضرون بالإنكار إلا أنفسهم ، و الشيطان وجد من طباعهم عونا على نفث مراده فيهم ،فحسّن لهم تلك القساوة ،وأغراهم بالاستمرار على آثامهم ، وأعمالهم ، وزين لهم سوء عملهم.

مناسبة هذه الآيات لسياق السورة هو : أن الله بعد أن ذكر لنبيه في الآيات السابقة أن قومه قد كذبوه بوسائل شتى من التكذيب فقالوا تارة أنه ساحر ، وأخرى أنه شاعر ، وثالثة أن القرآن الكريم أساطير الأولين ، ثم سلاه عن هذا بأنه ليس بدعا من الرسل ، فكثير قبله قد كُذبوا ، ثم ذكر أنهم لعظيم استهزائهم به وتهكمهم بما يبلغهم عن ربه - طلبوا منه استعجال العذاب الذي يعدهم به ، أردف ذلك بذكر نوع آخر من التكذيب وهو إلقاؤهم الشبه والأوهام فيما يقرؤه على أوليائهم من القرآن ليجادلوه بالباطل ويردوا ما جاء به من الحق ويكون في ذلك فتنة لضعاف الإيمان وللكافرين والشيطان يعمل على إلقاء الشبه في نفوس المؤمنين .

- ذكر الشيطان للتحذير منه :

وجاء ذكر الشيطان في القرآن الكريم للتحذير من إتباعه ولكن الخطاب القرآني لا يحذر من إتباع الشيطان مباشرة بل ينهى عن إتباع خطواته وذلك أبلغ من التحذير منه مباشرة .

هذه الآية جاءت متفقة مع نسق بناء السورة بما يحقق التناسق التام في السورة الكريمة ، فبعد أن بين في الآية قبلها حال متخذي الأنداد يوم القيامة وذكر ما سيلاقونه من العذاب ، و أن الذين اتُّبعوا سيتبرءون ممن اتبعوهم حين يرون العذاب،و تتقطع الأسباب بينهم ، وهي المنافع التي يجنيها الرؤساء من المرؤوسين والمصالح الدنيوية التي تصل بعضهم ببعض ،بين في هذه الآيات أن تلك الأسباب محرمة؛لأنها ترجع إلى أكل الخبائث وإتباع خطوات الشيطان ،فالله سبحانه وتعالى لما بين في الآيات السابقة دلائل التوحيد وما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام .

هذه الآية "استئناف على طريقة الاعتراض انتهازاً للفرصة بالدعوة إلى الدخول في السلم ، ومناسبة ذكره عقب ما قبله : أن الآيات السابقة اشتملت على تقسيم الناس تجاه الدين مراتب ، أعلاها من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله لأن النفس أغلى ما يبذل ، وأقلها من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، أي : يضمر الكيد ، ويفسد على الناس ما فيه نفع الجميع ، وهو خيرات الأرض،و ذلك يشتمل

على أنه اعتدى على قوم مسالمين ، فناسب بعد ذلك أن يدعي الناس إلى الدخول فيما يطلق عليه اسم السلم ، وهذه المناسبة تقوى وتضعف بحسب تعدد الاحتمالات في معنى طلب الدخول في السلم "[٤١]

ثم حذر من إتباع خطوات الشيطان لأن الشيطان لا يدعو للخروج من الدين دفعة واحدة بل يتدرج بخطوات حتى يخرج المرء من الدين خطوة خطوة فالدخول في السلم كافة يتنافى مع إتباع خطوات الشيطان لذا ناسب مجيء هذه الآية في هذا السياق .

وكذلك جاء التحذير من إتباع خطوات الشيطان في سورة الأنعام في قوله تعالى:

چۇ ۆ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ چ[٤٢]

الحديث في الآيات عن المآكل من الحرث والأنعام من حلال وحرام ، جاءت هذه الآية لتشدد في النهي عن إتباع خطوات الشيطان ، أي : طرقه في التحليل والتحريم فهو عدو مبين للإنسان ، ويرى المراغي أنه لما أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله ،أخذ يذكر تعالى ما أمتن به عليهم من الرزق وفي ذلك يقول :"أصول الدين التي عني الكتاب الكريم بذكرها ، واهتم ببيانها ، وكررها المرة إثر المرة هي التوحيد والنبوة والبعث والقضاء والقدر ، وقد بالغ سبحانه وتعالى في تقرير هذه الأصول ، واتبعها بذكر آراء لهم سخيفة ، وكلمات فاسدة في التحليل والتحريم تنبيها على ضعف عقولهم ، وتنفيرا للناس من إتباع آرائهم والسير على أهوائهم "[٤٣] والشيطان هو الداعي دائماً لمخالفة أمر الله لأنه في الحقيقة عدو مبين للإنسان .

من أغراض سورة النور التحذير من الوقوع في حبائل الشيطان و"هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة ، فالجملة استئناف ابتدائي ، ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشيرا إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي ، وظنون السوء ، ومحبة شيوع الفاحشة كله من وساوس الشيطان "[٤٤]

وجاء التحذير من إتباع خطوات الشيطان ببيان أن الذنوب إنما يكون سببها استدراج الشيطان للإنسان لإتباع خطواته .

اشتملت هذه السورة على عدد من الأغراض منها الصبر على تلقي الشدائد ،و البلاء، وأذى العدو ، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد وإلقاء الرعب منهم في نفوس عدوهم ، ثم ذكَّر الله المؤمنين بيوم أحد وهذه الآيات تتحدث عن السبب الحقيقي للهزيمة وهو استزلال الشيطان إياهم ، فالآيات هنا لا زالت تنادي بذكر ما حدث في غزوة أحد ، وما

---

[٤١]- التحرير والتنوير /ج ص: ٢٧٥

[٤٢]- الأنعام / ١٤٢

[٤٣] - تفسير المراغي /ج٨/ص٥٠

[٤٤]- التحرير والتنوير /ج ١٨/ ص١٨٦

فيها من العظات والعبر ومن ذلك حصول الضرر لهم بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فأدبهم الله ثم تاب عليهم .

" ومناسبة ذكر هذه الآية عقب التي قبلها أنه تعالى بعد أن بين لهم مرتبة اليقين بقوله { قل لو كنتم في بيوتكم } انتقل بهم إلى مرتبة الأسباب الظاهرة ، فبين لهم أنه كان للأسباب تأثير فسبب مصيبتهم هي أفعالهم التي أملاها الشيطان عليهم وأضلتهم ، فلم يتفطنوا إلى السبب ، والتبس عليهم بالمقارن ، ومن شأن هذا الضلال أن يحول بين المخطئ وبين تدارك خطئه ولا يخفى ما في الجمع بين هذه الأغراض من العلم الصحيح ، وتزكية النفوس ، وتحبيب الله ورسوله للمؤمنين ، و تعظيمه عندهم ، وتنفيرهم من الشيطان والأفعال الذميمة "[٤٥] فهذه الآية تبين السبب الخفي لهزيمة المسلمين يوم أحد ٠

وقد يأتي ذكر الشيطان ببيان حال أتباع الشيطان تحذيراً من إتباعه أصلاً :

بين الله في الآيات السابقة لهذه الآية بأن جزاء الممتثل لأمر الله الفوز والسلامة والغنيمة بفضل من حاز أوصاف الكمال سبحانه وتنزه عن كل نقص بماله من رداء الكبرياء والجلال ورغبهم فيما لديه و" أتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من أن المخوف لهم من كيده ضعيف ، وأمره هين خفيف واه سخيف ، وهو الشيطان ، و ساق ذلك مساق التعليل ؛ لما قبله من حيازتهم للفضل وبعدهم عن السوء بأن وليهم الله وعدوهم الشيطان فقال التفاتا إليهم للزيادة في تنشيطهم ، أو تشجيعهم وتثبيتهم"[٤٦] (إنما ذلكم الشيطان) تهويناً لأمره .

مقصود سورة النساء بوجه عام الاجتماع على التوحيد والتحذير من الفرقة؛ والإنفاق مما يزيل الفرقة ، ويزيد من التآلف بين المسلمين ؛ في الآيات السابقة لهذه الآية جاء ذم للمقترين واتبعه بذم المسرفين المبذرين مبيناً أن الذين لا ينفقون في سبيل الله ، ولا يحسنون لمن به تقدم الأمر بالإحسان إليهم فرقتان : فرقة يمنعون النفقة أصلا ، وفرقة يمنعون وصفها ويفعلونها رياء ، فيعدمون بذلك روحها ، وبين سبحانه وتعالى أن هؤلاء ما حملهم على ما فعلوا إلا الشيطان ، و حذر من الاقتران به ؛ لأن عاقبة ذلك سيئة في الدنيا والآخرة .

الفصل الثاني

المبحث الأول

المشتقات وصيغ الأفعال ودلالاتها البلاغية

و هذا المبحث سيتناول المشتقات وصيغ الأفعال بالدراسة والتحليل لبيان دلالاتها البلاغية في الآيات التي ورد الحديث فيها عن الشيطان ، والتي كان لها أثر بالغ في أداء المعنى المراد على أكمل وجه وأبلغ صورة .

---

[٤٥] - التحرير والتنوير / ج٤ /ص١٣٩

[٤٦] - نظم الدرر /ج٥ /ص١٣٢

ولا عجب :"أن يتأنق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ، و لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالتها ، يستخدم كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة ... وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها ، فكل لفظة وضعت لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء "[٤٧]

والمشتقات وصيغ الأفعال من المفردات التي كان لها أثرٌ بارزٌ في إظهار المعاني المرادة في الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان على تفاوت في نسبة كل منها ، و لا تخلو كتب التفسير قديماً وحديثاً من الإشارة للأثر البلاغي للمشتقات على سياق الجملة فها هو الشيخ عبدالقاهر يقرر أن " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء "[٤٨]

والمشتق هو اسم مأخوذ من الفعل ، وهو بشكل عام "ما أُخذ من غيره ، بأن يكون له أصل ينسب له ، ويتفرع منه "[٤٩] والمشتقات موضع اهتمام للنحاة سواء ما دل منها على ذات متصفة بالحدث كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ، أو ما دل على ذات فقط كالمصدر واسم الآلة والزمان والمكان[٥٠] . وهي جميعا عدا اسم الآلة وردت في الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان فقد جاء اسم الفاعل فيها أربعين مرة من الفعل الثلاثي :

مفردا في إحد عشر موضعاً ،نحو:(واسع - طائف - غالب- ناجٍ - الظالم –القاسية – الآخرة) وجاء مجموعا في تسعة وعشرين موضعاً ، نحو: (الظالمين- الخاسرون - أصحاب – خالدون – الغاوون – العالين) ٠

أما من غير الثلاثي فقد جاء في سبعة عشر موضع ، مفردا أربع مرات نحو:(بمصرخكم -مضلّ – مستقيم) وجاء مجوعا في ثلاثة عشر موضعاً ، نحو (مؤمنين – مشركون – المبذرين – مبصرون)

وللدلالة على عصيان إبليس وتمرده على أمر ربه ،"فالفسق : الترك لأمر الله تعالى والعصيان ، والخروج عن طريق الحق أو الفجور ... وفسق عن أمر ربه أي جار ومال

---

[٤٧] - من بلاغة القرآن / د. أحمد بدوي / نهضة مصر ٢٠٠٥/ ص٥١ - وفي كلام المؤلف (تكاد بها تؤمن بأن هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها) ولا يقال ذلك – خُلقت- فكلام القرآن لم يُخلق ، وإنما الأصح أن يقال : إن النظم القرآني العجيب قد اقتضى وضع تلك الكلمة بعينها في موضعها دون غيرها .

[٤٨] - دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني / مطبعة المدني / ط / ص١٧٤- تحقيق : محمود محمد شاكر

[٤٩] - النحو الوافي / عباس حسن / دار المعارف بمصر / ط: ٣/ ص١٨٢

[٥٠] - راجع دراسات في علم الصرف / د. عبدالله درويش / مكتبة الطالب الجامعي / مكة المكرمة / ط ١٤٠٨ هـ / ص٤٥ ٠

عن طاعته ، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها قد فسقت الرطبة من قشرها"[٥١] فالفسوق فيه شدة تناسب شدة عصيان إبليس وقمة خروجه عن أمر الله تعالى فكانت دلالته أقوى من لو قلنا فعصى أمر ربه أو خرج عن أمر ربه٠

وأعد قراءة الفعل كبكبوا ليظهر لك تلاؤم إيقاعه الصوتي مع المعنى القرآني المراد ، فالفعل (كُبوا) فيه كب بعد كب والفعل (كُبكبوا) مضاعف (كُبوا) بالتكرير ، وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى . أي الدلالة على الزيادة في معنى الفعل و(الكبكبة : الرمي في الهوة ، وقد كبكبه ٠ وفي التنزيل (فكبكبوا فيها هم والغاوون) قال الليث :أي دهوروا وجمعوا،ثم رُمي بهم في هوة النار ،وقال الزجاج :كبكبوا طرح بعضهم فوق بعض ، وقال أهل اللغة : معناه : دُهورو وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الإنكباب ، كأنه إذا أُلقي ينكب مرة بعد مرة ، حتى يستقر فيها ، نستجير بالله منها، وقيل قوله تعالى : (فكبكبوا فيها)أي جمعوا ، مأخوذ من الكبكبة ، وكبكب الشيء قلب بعضه على بعض "[٥٢] فالفعل وحده يعطي تصويرا للمشهد المهول بجرسه اللفظي الذي يوحي بصوت تدافعهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه " يحدث جرسه صوت الحركة التي تتم بها " [٥٣]

ولا يخفي ما في اختيار الفعل اسكن دون غيره من الأفعال التي تؤدي نفس المعنى من البلاغة القرآنية والإيجاز الرباني حيث يشير الفعل (اسكن) إلى قصر وقت الإقامة في الجنة حينذاك لأن الله تعالى إنما خلق آدم لخلافة الأرض فالسكنى من السكن وهو نوع من اللبث والاستقرار[٥٤] ،و في المقابل قال (ولكم في الأرض مستقر ومتاع) فالاستقرار في الأرض أطول وأكثر امتدادا من مجرد السُكنى٠

الأفعال المتقاربة الدلالة :

تتقارب بعض الأفعال في دلالتها حتى يُعتقد أنها تحمل المعنى ذاته ، وربما فسر البعض أحدها بذكر مرادفه ، مع أن هناك فروقا دقيقة بينها ، وهي فروق تظهر في سياقات هذه الأفعال، فكل فعل له دلالته الخاصة به حتى إن غيره ينبو به المكان إن حلَّ به نحو (يعدهم ويمنيهم) الشيطان يقدم الوعود الكاذبة لمواليه ، ويخبرهم بشيء يسرهم أو يسوؤهم ليمتنعوا عن امتثال أوامر الله ، فالوعد يكون في الخير والشر" قال الجوهري:الوعد يستعمل في الخير والشر ، قال ابن سيده : وفي الخير الوعد والعِدة،وفي الشر الإيعاد والوعيد "[٥٥]

---

[٥١] - في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الشروق / ج٣ / ص/ ٣٤١٤،٣٤١٣

[٥٢] - لسان العرب/لابن منظور /ج ٤٣/ص٣٨٠٤/ دار المعارف

[٥٣] - التصوير الفني في القرآن /سيد قطب /ص٩٣

[٥٤] - انظر : مفاتيح الغيب للفخر الرازي /ج٣/ص٤

[٥٥] - لسان العرب /لابن منظور / دار الشوق / ج ٥٤/ ص٤٨٧٢

والمثال على ذلك نراه في الحياة العادية فالإنسان منا يحب ماله الذي قد جاء بالتعب ، والصدقة في ظاهر الأمر تنقص المال ، ، لأن الشيطان يوسوس في صدر صاحب المال قائلاً : إنك عندما تتصدق ببعض المال فمالك ينقص ، وعدة الشيطان قد اختلفت بما يغري الإنسان فيغويه ، وفي هذا السياق تعلقت بالفقر ليحمل الإنسان على الإمساك والبخل ، فأطلق وعده عن كل قيد ، فهو الداعية إلى كل شر بتزيينه للكافر والعاصي ، فيستر قبح دعواه بمعسول المعاني ومكذوب المباني ، ويعد كل كافر وعاص بوعد يلائمه ، فلكل وسواسه الذي يناسبه ، فيعد أصحاب الشبهات بفاسد العلوم ، ويعد أصحاب الشهوات بفاسد الأعمال ، ولا يرد كيده إلا بالاستعانة بخالقه عز وجل ، وبذل السبب الدافع لوساوسه العلمية بنافع العلوم ، ووساوسه العملية بصالح الأعمال ، ولا يتلقى ذلك إلا من مشكاة النبوات ، فهي التي دلت على جهة الجزم والتفصيل على كل علم نافع وعمل صالح . فلا صلاح لدين أو دنيا ، ولا نجاة في أولى أو آخرة إلا باقتفاء آثارها تصديقا وامتثالا . والشيطان أيضاً يقدم الأماني الكاذبة في الوساوس : (ويمنيهم) ، والأماني هي أن يضع الإنسان في خياله أمراً يستمتع به من غير أن يخطو له خطوة عمل تقربه من ذلك الأمر ، ومثال ذلك الإنسان الذي نراه جالساً ويمني نفسه قائلاً : سيكون عندي كذا وكذا ولا يتقدم خطوة واحدة لتحقيق ذلك .

وكل أمنية لا تحفز الإنسان إلى عمل يقربه منها هي أمنية كاذبة ، ولذلك يقال :إن الأماني بضاعة الحمقى ، والشيطان يمني الإنسان بأنه لا يوجد بعث ولا جزاء .

و" الفرق بين وعده وتمنيته أنه يعد الباطل ، ويمني المحال ، والنفس المهينة التي لا قدر لها تغتذي بوعده وتمنيته ، كما قال القائل :

منى أن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

فالنفس المبطلة الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة ، وتفرح بها ، كما يفرح بها النساء والصبيان ويتحركون لها ، فالأقوال الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته ، فإن الشيطان يمني أصحابه الظفر بالحق وإدراكه ، ويعدهم الوصول إليه من غير طريقه نتساءل عن سر التعبير بالنزغ ، وبالطائف :

الطائف : الطائف من الشيطان هو الذي يطوف حول القلب لتقع فيه وتستقر عليه ، فإذا طاف الشيطان بالإنسان وأبعده عن طاعة الله (تذكّر).

سوّل : جعله يصرّ على الذنب الذي فعله فيستمر في الذنب ويكرّره ويعود إليه ، التسويل إذن هو حرص الشيطان على أن يسهل لك الأمر حتى تعود إليه مرة أخرى ،الإملاء : يملي عليه : بعد أن يستمرّ بالتسويل ويستمرّ على ضلاله ، و يملي الشيطان عليه ويفتح عليه أفكاره ، فبعد أن يحرص على الضلالة ويصرّ على المعصية ، يملي عليه الشيطان بأفكار وفلسفات . إذن التسويل مرحلة تسبق الإملاء فسبحان من أنزل القرآن معجزا في لفظه ومعناه ونظمه ومبناه.

المبحث الثاني

أسرار الإفراد والجمع في الآيات

ضمت دراسة الإفراد والجمع في القرآن الكريم الكثيرَ من النكات والأسرار البلاغية.

وقد حظيت بعناية العلماء واهتمامهم وخاصة علماء التفسير ، الذين لهم اليد الطولى في إظهارها إلى حيز الوجود ، ووضع لبناتها الأولى ، كاشفين من خلالها عن أسرار الإعجاز ومواطن الإبهار . مظهرين تلك الأسرار والنكات في أسلوب يكشف عن سر إفراد لفظة وجمع أخرى . ناظرين في ذلك كله إلى السياق الذي وردت تلك اللفظة فيه ، وما يكون بينها وبين أخواتها من وشائج قربى وعلاقات صلة ، اقتضت ذكرها على ذلك الوجه ، ثم امتدت تلك الدراسات وتفرعت ، متجاوزة دراسات المفسرين إلى الدراسات التي تتصل بعلوم القرآن ، حيث كان لعلمائها[٥٦] جهودهم المشكورة في هذا المجال .

والآيات التي تتحدث عن الشيطان كغيرها من الآيات في القرآن الكريم قد حظيت بنصيب وافر من تلك الألفاظ ، فجاءت بعض ألفاظها إما مفردة أو مجموعة ؛ ولها في كل حالة من تلك أسرار بلاغية وفرائد أسلوبية نبينها على النحو التالي :

أولاً : الإفراد : في الآيات موضع الدراسة جاءت مفردة

حمل الإفراد في الآيات التي تتحدث عن الشيطان نمطاً معيناً ذلك أن اللفظة المفردة جاء إفرادها إفرادا عاماً ، أي أنها لم ترد في القرآن – عامة- إلا مفردة، أو أنها تأتي مفردة ومجموعة ووردت في الآيات موضع الدراسة بصيغة الإفراد دون الجمع وسنذكرها كالآتي :

أ- الألفاظ المفردة – عامة – في الآيات موضع الدراسة وغيرها .

(١) الصراط :

وردت لفظة الصراط في القرآن الكريم في أربعة مواطن : (الصراط – صراطاً– صراطي - صراطك) وجاءت في الآيات موضع الدراسة مرتين مرة بصيغة (صراطك) والمقصود به في كلا الموضعين : الطريق ، وطريق الحق بالتحديد ، وقد ورد الصراط موصوفاً بالاستقامة في أكثر مواضعه في كتاب الله العزيز[٥٧] ؛ وذلك لوضوحه وسهولة السير فيه . ولعل السر في إيثار القرآن التعبير (بالصراط) مفردا

[٥٦] - كالسيوطي في كتابه الاتقان ٢٩٩/٢، والزركشي في كتابه البرهان ٣/٤

[٥٧] - راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم /٥١٧

دون الجمع (صرط) وضوح الحق وبروز معالمه دائماً فالحق طريقه واحد خلافاً لطرق الباطل والغواية ، فهي متعددة ، متشعبة لتعدد ألوان الضلال وتشعبها .[٥٨]

(٢) الأرض :

لفظة الأرض جاءت مفردة في هذه الآيات لأن السياق يقتضي ذلك فالآية الأولى : يخبر الله بأن الأرض ستكون لآدم ولزوجه مستقراً ، وفي الآية الثانية : يبيح للناس الأكل من الأرض أي من خيرات الأرض . وفي الآية الثالثة : كانت الأرض موضعاً للشياطين الذين استهووا من ابتعد عن هدى الله ، ولم ترد كلمة الأرض في القرآن كله إلا مفردة فقد جاءت في أربعمائة وواحد وستين موضعاً كلها مفردة ، وحتى إذا ذكرت معها " السماء " مجموعة فإن لفظة الأرض تأتي معها مفردة في كل موضع ، ولما ناسب السياق جمعها عدل عنها إلى تعبير يفيد الجمع لكنه ليس بجمع لها وذلك في فلم يقل : سبع أرضين واكتفى بجمع لفظ "مثلهن " وكلمة الأرض لو أريد جمعها على قياس جموع التكسير لقيل : أراض كأجمال ، أو أروض كفلوس إلا أن هذا الأمر مستثقل لأن جمع كلمة الأرض ليس فيه من الفصاحة والعذوبة ما في السموات ، فما في لفظ السماوات " يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته ، و لفظ الأراضي لا يأذن له السمع إلا على كره "[٥٩]

(٣) النّار :

ورد لفظ النار على وجه الوعيد لمن عاد للربا والتعامل به "فلفظة النار بظلالها وجرسها الصوتي – من تشديد نونها وتردد رائها – فيها من الشّدة والقسوة ، ونبرة التخويف ما ناسب كونها عذابا لمن خالف أمر الله ، و في الآية الثانية جاءت لفظة النار على لسان إبليس اللعين مفتخرا بأصل خلقته فإفرادها راجع إلى أصلها ، فهي ذات أصل واحد ، ومادتها واحدة فناسبها الإفراد "[٦٠]

وقيل : " إنما أفردت باعتبار الجنس ، ولما كانت النار تعذيبا ناسب إفرادها ، نظير إفراد الريح في العذاب وهي دار حبس ، و الغاضب يجمع جماعة من المحبوسين في موضع واحد أنكد لعيشهم فالنار إذاً لكل مذنب لذا لم تُجمع "[٦١]

(٤) السمع :

ذكر في السمع المصدر ولم يجمع السمع ، لأن المصدر لا يجمع وذلك لحكمة ، وهو أن السمع قوة واحدة وله فعل واحد ، فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين ، والأذن

---

[٥٨] - راجع الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن /د. محمد الأمين الخضري / مطبعة الحسين الإسلامية / الطبعة الأولى ١٤١هـ - ١٩٩٣م / ٣٦-٣٧

[٥٩] - بدائع الفوائد /ابن قيم الجوزيه / ١٠٣/١

[٦٠] - راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٠١/٢.

[٦١] - البرهان في علوم القرآن للزركشي ١٤/٤ بتصرف

محله ، ولا اختيار لها فيه ، فإن الصوت من أي جانب كان ، يصل إليه ،ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض ، خلافا للبصر الذي غالبا ما يأتي مجموعاً ؛ لأن الإبصار محله العين ، ولها فيه شبه اختيار ، فإنها تتحرك إلى جانب مرئي دون آخر ،و كذلك الفؤاد، أما السمع فله قوة واحدة ، ولها فعل واحد ولهذا لا يسمع الإنسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما ، بينما يدرك في زمان واحد صورتين وأكثر ،ويستبينهما. فإفراد السمع جرى على الأصل في إفراد المصدر لأن أصل السمع أنه مصدر . وقيل : الجمع باعتبار المتعلقات فلما كان البصر يتعلق بأنواع كثيرة من الموجودات وكانت العقول تدرك أجناساً وأنواعاً جُمِعا بهذا الاعتبار وأفرد السمع لأنه لا يتعلق إلا بنوع واحد وهو الأصوات.[٦٢]

ب- الألفاظ التي جاءت بالإفراد والجمع وذكرت في الآيات موضع الدراسة مفردة :

(١) السماء :

هناك ألفاظ تأتى مفردة تارة ومجموعة تارة أخرى ، وذلك لحكمة مثل: السموات والسماء، فحيث أُريد العدد أتى بصيغة الجمع الدال على السعة والعظمة . أي جميع سكانها على كثرتهم (تسبح له السموات) أي كل واحدة على اختلاف عددها .يقول السهلي : " قد يرد لفظ السماء عبارة عن كل ما علا من سماوات فما فوقها إلى العرش ، وغير ذلك من المعاني العلوية المختصة بالربوبية ، فيكون اللفظ بصيغة الإفراد كالوصف المُعيَّر به عن الموصوف"[٦٣]

(٢) الرحمة :

الرحمة لفظ رقيق دال على معناه ، ورد في القرآن بالجمع والإفراد ، وفي الآيات موضع الدراسة ذُكرت الرحمة مفردة مرتين ، وفي كلا الآيتين جاء الحديث عن الرحمة فيها من باب الامتنان فالله سبحانه وتعالى يمتن على عباده برحمته عليهم ففي الآية الأولى : رحمة الله بإرشادهم إلى أنواع المصالح ، و التحذير من المكائد ومن حبائل الشيطان وأنصاره[٦٤].وفي الآية الثانية يمتن الله على المؤمنين برحمته بالمغفرة عند التوبة وأنه لولا ذلك ما كان أحد من الناس زاكياً ؛ لأن فتنة الشيطان فتنة عظيمة لا يكاد يسلم منها الناس لولا رحمة الله وفضله ، وإفراد الرحمة هنا للدلالة على أن رحمة من الله كافية لنجاة الناس جميعا وحمايتهم من الزلل والغواية وإتباع الشيطان الرجيم ٠

(٣) حزب :

---

[٦٢] - راجع / التحرير والتنوير /ج١٩/ص٢٠٧

[٦٣] - السهيلي ، نتائج الفكر ، ١٦١

[٦٤] - انظر : التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج٥/ص١٤٢

سمى أتباع الشيطان حزباً على تعددهم وكثرة عددهم إلا أنه جاء بصيغة المفرد – حزب – ولم يأتِ بصيغة الجمع ، ولعل ذلك دال على أن أتباع الشيطان مهما اختلفت مذاهبهم إلا أنهم حزب واحد ضدَّ الحق وأتباعه ، و في المقابل سمى الله المؤمنين الذين يتبعون الحق حزب الله حتى وأن اختلفت طرقهم في الهداية وتعددت طرقهم في الدعوة إلى الحق إلا أنهم متحدون ضد الباطل ، كما أن الحق واحد والمعبود واحد.

ثانياً : الجمع :

جاءت ألفاظ عديدة في الآيات موضع الدراسة بصيغة الجمع دون الإفراد ، و هي في كل موضع من مواضعها تلك تؤدي معناها المراد الذي اقتضاه السياق ، من تلك الألفاظ :

(١) **همزات** :

وردت لفظة (همزات) في القرآن مرة واحدة تعليماً لنبيه عليه السلام كيفية التخلص من وساوس الشياطين ونزغاتهم ، فذكرت همزات بالجمع دون الإفراد (همزة) لبيان أن الشياطين متنوعوا المداخل التي يلجون من خلالها على أهل الإيمان ، وفيه لفت نظر المؤمنين إلى ضرورة التيقظ والحذر في كل الأمور التي قد تكون مداخل لهؤلاء الشياطين ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن صفية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"[٦٥] فهمزات توحي بأن خطر هؤلاء الشياطين يحيط بالمؤمن من كل جانب ، فتعدد الجهات ناسبه جمع همزات ، وإذا كان الخطر لا يُعلم مصدره كان ذلك أدعى لأخذ الحذر والترقب الدائم بخلاف ما إذا كان مصدره معروفاً ، واتجاهه محدداً فإن هذا مدعاة إلى أن يركن الإنسان إلى الدعة ويقل حذره . وربما كان الجمع هنا في همزات لتعدد المضاف إليه وهم الشياطين[٦٦].

(٢) خطوات :

وردت لفظة (خطوات) في القرآن الكريم مجموعة ومضافة إلى الشيطان أربع مرات والخطوات جمع خطوة بضم الخاء : اسم لنقل الماشي إحدى قدميه التي كانت متأخرة عن القدم الأخرى وجعلها متقدمة عليها [٦٧] وفي مجيء الخطوات بصيغة الجمع دون الإفراد دلالة على أن الشيطان لا يكتفي بمحاولة واحدة لإغواء الإنسان ، بل يتدرج به في المعاصي ويخطو معه خطوة تلو خطوة في دروب الغواية ، ففي هذه الصيغة مزيد تحذيرٍ لبني آدم للحذر من هذا العدو الذي يسعى لإغواء الإنسان ، و يجعله يسير

---

[٦٥] -رواه البخاري (٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩) ومسلم (٢١٧٥)

[٦٦] - راجع تفسير ابن أبي السعود ١٥٠/٦

[٦٧] - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج١٨/ص ١٧٨

في سبل الغواية خطوة بسيطة لا يشعر بها ، ويتبعها بخطوة أخرى حتى تتابع خطواته ، فيصعب عليه العودة من ذلك الضلال البعيد .

(٣) أصحاب :

لفظ صاحب وردت في القرآن مفردة ومجموعة ، وليس هنا مجال بحثها ، وإنما لنتأمل دلالة إيراد صيغة الجمع في هذه الآية (أصحاب) دون صاحب ، ومعنى أصحاب " أي له رفقة معه حين استهواء الجن " [٦٨] فالذي تستهويه الشياطين يكون" تاركاً لرفاقه على الطريق المستقيم "[٦٩] ولعل ذلك يدل على أن من اتبع الشيطان وترك هدى الله فإنه لا يمكن لأصحابه مهما كثروا أن يهدوه أو يردوه عن طريق الضلال الذي اتبعه ، ولعل في إيراد قصة إبراهيم بعد هذه الآيات دليلاً على أنه لا يمكن لمخلوق أن يهدي من أضله الله ، فإبراهيم لم يتمكن من إرشاد أبيه أو دفعه لإتباع الهدى مع ما بذله من جهد .

المبحث الثالث

التعريف والتنكير :

تعد دراسة التعريف والتنكير في الدرس البلاغي من أكثر المباحث البلاغية ثراءً وتنوعاً – ولعل هذا راجع إلى أمرين – الأول : تنوع صور التعريف ، ولكل واحد من تلك الصور دلالاته البلاغي ، وأثره في تلوين العبارة ، وإخراج المعنى على وجه يغاير الآخر. والأمر الثاني : إنّ دراسة التعريف و التنكير تتناول كل الأسماء الداخلة في تكوين الكلام ، فكل اسم إمّا أن يكون نكرة أو معرفة .

وقد أفاض فيه علماؤنا – دراسة وتطبيقاً- فطبقوه على البيان العربي عامة ، والقرآن على وجه الخصوص[٧٠].حيث ورد كثيراً فيه ، وفي الآيات موضع الدراسة.

والمتأمل للتعريف والتنكير في الآيات التي تتحدث عن الشيطان يجد أنها جاءت لتزيد المعنى بيانا وتضفي على العبارة حلاوة وهذا البحث يحاول الوقوف على بعض سياقات التعريف والتنكير في الآيات موضع الدراسة ، رغبة في إدراك بعض أسراره ولطائفه في السياق القرآني.

أولا:التعريف في الآيات التي تتحدث عن الشيطان :

---

[٦٨] - التحرير والتنوير / للطاهر بن عاشور / ج ٧ /ص٣٠٢

[٦٩] - تفسير المراغي /ج٧/ص ١٦٥

[٧٠] - انظر / الإتقان في علوم القرآن للسيوطي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت /١٤٠٨هـ-١٩٨٨م /٢٩١/٢، والبرهان للزركشي ٨٧/٤، والطراز للعلوي /٢٠٨وما بعدها حيث اكتفى بدراسة المعرف بأل فقط ،والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي /٥٧- ٨٣- ٩٢- ٩٣-٩٤، والإيضاح للقزويني ٩/٢إلى ٣٩، ١٢٩/١٢٨

تنوعت صور التعريف في الآيات التي تتحدث عن الشيطان ، حيث ورد التعريف بالضمير ، والاسم الموصول ، واسم الإشارة ، وبالإضافة ، والعلمية ، والتعريف بأل،و تفاوتت في كثرتها وهي على النحو الآتي :

(١) التعريف بالضمير :

أكثر أنواع المعارف التي وردت في الآيات هو التعريف بالضمير حيث ورد فيما يقارب خمسمائة موضع وأكثر ، كان في معظمها دالاً على الاختصار ، و عندما يقدم الضمير المنفصل فإنه يفيد القصر في بعض سياقاته وكان القصر في هذه الآية عن طريق تعريف الطرفين وتوسيط الضمير المنفصل (هم) للدلالة على خلودهم في النار، أي هم الخالدون في النار دون غيرهم .

(٢) **التعريف (بأل) :** يلي التعريف بالضمير – كثرةً – التعريف بأل ، وهي أنواع ومن أهمها (أل) التي للعهد والتي للجنس، وتذكر الأولى إذا كان قد سبق الكلام عن المعرَّف، وعلى ذلك يكون حاضراً في الذهن، لذا قالوا عنها : إنها للعهد الذكري أو الذهني، أما الثانية فتذكر لقصد التعميم والشمول والاستغراق . ووردت في الآيات موضع الدراسة في مائتي موضع على ، وحلّ له من الأسرار واللطائف الشيء الكثير ، وكسا الكلمات التي ارتدته ثوباً من الحسن البلاغي الذي لا نراه إلا في هذا الكتاب المعجز .

(٣) التعريف بالإضافة :

جاء التعريف بالإضافة في الآيات موضع الدراسة في مائة وستين موضعا ، وجاء التعريف بالإضافة لإفادة أغراض بلاغية وللدلالة على أسرار ومزايا تضمنتها الآيات . وهناك ألفاظ في الدعاء القرآني كثرت الإضافة إليها من أشهرها لفظ (رب) وفي الإضافة إليها أسرار ودقائق وسنتناول هذا اللفظ بحسب ما يضاف إليه.

(٤) التعريف بالإضافة :

جاء التعريف بالإضافة في الآيات موضع الدراسة في حوالي مائة وستين موضعا ، وجاء التعريف بالإضافة لإفادة أغراض بلاغية وللدلالة على أسرار ومزايا تضمنتها الآيات . وهناك ألفاظ في الدعاء القرآني كثرت الإضافة إليها من أشهرها لفظ (رب) وفي الإضافة إليها أسرار ودقائق

(٥) التعريف بالاسم الموصول :

كانت عناية علماء البلاغة بالتعريف بالاسم الموصول ، وعلى الخصوص لفظ(الذي) ، كبيرة حتى أن الإمام عبد القاهر الجرجاني أفرد فصلاً خاصاً بهذا اللفظ

[٧١]. معلوم أن التعريف بالموصولية من " أشيع طرق التعريف سواء في ذلك كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الناس ، وذلك لأنه مفرد متضمن جملة ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعرّف" [٧٢] ورغم شيوعه فإنه لم يرد في الآيات موضع الدراسة إلا فيما لا يزيد عن ستة وأربعين موضعاً ، وهو في كل موضع من تلك المواضع يحمل دلالات اقتضاها السياق ، وأثرى بها المعنى بما لا نكاد نجده إلا في هذا البيان المعجز ٠

الفصل الثالث

المبحث الأول

علاقات الجمل

يقصد بعلاقات الجمل ما يكون بينها من فصل ووصل ٠ فمعلوم أن بين الجمل علاقات نسب ووشائج قربى ، ينظمها السياق الذي تأتي فيه ، و المعنى الذي تدور حوله كل جملة في ترابط رائع ، ونظام محكم .

وتعد دراسة الفصل والوصل من أصول البلاغة بل هي حدها الأعلى ، وليس أدل على ذلك من قول الفارسي حين سُئل " ما البلاغة ؟ فقال معرفة الفصل من الوصل "[٧٣]

فمعرفة الفصل والوصل فن "عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه ، إلا من أُتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً" [٧٤] ،"وذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة " [٧٥]

وقد عدَّ الشيخ عبدالقاهر معرفته معرفة تامة من صفات العرب الخُلص ومن طُبِعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام ،[٧٦]هم بها أفراد وقد قيل "البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلئ بلا نظام "[٧٧]

والوصل هو :" عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، والفصل تركه "[٧٨]والذي فتح الكلام في أسرار الوصل والفصل عند العلماء ، النظر في عطف المفردات أولا ، ثم النظر في عطف الجمل التي لها محل من الإعراب باعتبار أنها ، كالمفرد ووضعوهما في علم النحو ،و قد بين الشيخ عبدالقاهر ذلك بقوله :"لا يكون للجملة موضع من

---

[٧١] - دلائل الإعجاز / ص١٩٩

[٧٢] - انظر خصائص التراكيب /١٥٢

[٧٣] - انظر البيان والتبيين ٨٨/١، الصناعتين لأبي هلال العسكري / تحقيق / علي محمد البجاوي أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م /٤٣٨

[٧٤] - الإيضاح /٩٧/٣

[٧٥] - دلائل الإعجاز / ٢٢٢

[٧٦] - المصدر السابق / ٢٢٢

[٧٧] - الصناعتين /٤٣٨

[٧٨] - الإيضاح

الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد . وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد ، وكان وجه الحالة إلى الواو ظاهراً ، والإشراك بها في الحكم موجودا "[٧٩]

وهذا العطف أمره جلي ، أما الذي يشكل فهو عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، إذ العطف حينها لا يقتضي التشريك لأنه لا حكم للأولى. لذلك لابد أن يكون وراء هذا العطف أسرار ودقائق ، وقد خص البلاغيون الواو بالدراسة دون غيرها من حروف العطف كالفاء ، وثم ، وأو ، لأداء كل حرف منها معنى زائداً على التشريك ، فالفاء توجب الترتيب من غير تراخٍ ، وثم للترتيب مع التراخي ، و أو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه ، وعند العطف بأحد هذه الأحرف تظهر فائدة هذه المعاني[٨٠].

أمَّا الواو فتفيد معنى واحداً هو الإشراك في الحكم . ومن الضرورة أن يكون بين المعطوفين نوع من المناسبة حتى " يكون المعنى في الجملة لفقاً لمعنى في الأخرى ومضامًّا له" [٨١]

المبحث الثاني

- **ترتيب الجمل وأسراره :**

حظي القرآن الكريم بنصيب وافر من دراسة ترتيب الجمل على أيدي المتقدمين والمتأخرين من علماء التفسير والبلاغة ، الذين نظروا إليها من حيث تقديم بعض الجمل على بعض ، وفصل بعضها ووصل الآخر ، أو حذف بعض الجمل طمعا في الإيجاز وبسط الأخرى رغبة في الإطناب ٠

وسنقف في هذا المبحث وقفة يسيرة نشير من خلالها إلى جهود علمائنا -خاصة المفسرين- في دراستهم للكتاب العزيز الذي لا تنقضي عجائبه ، فقد كانوا أصحاب فكر واعٍ مستنير ، وقفوا وقفات مباركة حول جمل القرآن محللين ومعلقين عليها ، وهذا باب من البلاغة قد اعتراه الإغفال زمنا ٠

ولعل أول من أشار إليه ودعا لولوجه الشيخ عبدالقاهر أثناء حديثه عن النظم،فقد بين أن اتحاد أجزاء الكلام وتداخل بعضها في بعض ، وارتباطها فيما بينها ، و تكاثرها ، مسلك دقيق ، ينبع من توخي معاني الكلام ذاته ، وملاحظة الفروق الدقيقة بين جمله ، حيث قال:" واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك،في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ها هنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم ،

---

[٧٩] - دلائل الإعجاز /٢٢٣

[٨٠] - انظر المصدر السابق دلائل / الموضع نفسه .

[٨١] - انظر المصدر السابق / ٢٢٥

وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ٠ وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به،فإنه يجيء على وجوه شتى ، وأنحاء مختلفة) [٨٢] وقوله كذلك : (وإذ قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعا واحدا ، فاعلم أنه النمط العالي والباب الأعظم ، والذي لا ترى سلطان المزية يعظم في شيء كعظمه فيه) [٨٣] وقد عرض الشيخ لنماذج شعرية من هذا الباب بالشرح والتوضيح.

وهو بكلامه هذا قد فتح بابا عظيما لدراسة تراكيب الكلام وتكوينات الجمل .

وقد ألح الدكتور محمد أبو موسى في كثير من كتبه إلى قيام دراسات واعية ، تدور حول تكوينات الجمل حيث يقول في كتابه دلالات التراكيب : قد كتبت هذا الكتاب في طبعته الأولى وأنا أفكر في موضوع تكوينات الجمل واختلاف هذا التكوين من كاتب إلى كاتب كما نبهت في الطبعة الأولى ، وكنت أقول في نفسي : لماذا عني البلاغيون بعلاقات الجمل وأهملوا تكويناتها ونسجها الداخلي من حيث طولها وقصرها ؟ لأنهم عنوا بها ولا شك عناية فائقة من حيث التقديم والتأخير والحذف والذكر ... وكنت اقرأ مع الطلاب أبوابا من صحيح البخاري ، وكان اهتمامي متجهاً إلى البنية التركيبية المتماسكة في كلامه صلى الله عليه وسلم ، وأكثر كلامه صلى الله عليه وسلم من الكلام الذي ترى فيه الجمل تتداخل وتتنامى ، و يلتحم بعضها ببعض حتى تكون كالجملة الواحدة توضع في النفس وضعا واحدا ...) [٨٤] وقد شرح طرائق القرآن في تشابك الجمل وتداخلها في دراسته لآية عباد الرحمن من سورة الفرقان[٨٥] فدل بذلك على الطريق ومهد السبيل ٠

وسنتلمس في هذا المبحث الطريق الذي عُبِد ونلج الباب الذي فُتح ، حيث ندرس بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الشيطان للوقوف على سر ترتيب جملها على النحو الذي جاءت عليه ، ونعتمد في ذلك على السياق القرآني الواردة فيه تلك الآيات ٠

المبحث الثالث

مظاهر الإيجاز والإطناب

يعد الإيجاز والإطناب من أبواب البلاغة المهمة ، وقد تناولها الدارسون بالتفصيل والإيضاح، مع العلم أن مسألة الإيجاز في الكلام – بالحذف أو القصر – والإطناب فيه مسألة يحددها المتكلم ، وتكون حسب الحاجة ، ووفق ما يقتضيه المقام ، فكل منهما مطلوب في موضعه ، وله بلاغته ، فلا الإيجاز أبلغ من الإطناب ، ولا الإطناب أبلغ من

---

[٨٢] -دلائل الإعجاز / ٩٣

[٨٣] - المصدر السابق / ٩٥

[٨٤] - دلالات التراكيب /٣٥٥

[٨٥] - المرجع السابق /٣٦٦

الإيجاز ، بل كما قال أبو هلال العسكري [٨٦] :" الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ، ولكل واحد منها موضع ، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه ، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته ، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ " [٨٧]

ويلحظ المتأمل لكل آيات القرآن - ومنها الآيات موضع الدراسة - الإيجاز والإطناب يتآزران معاً للإبانة عن المعاني الواردة على ألسنة المتكلمين ، في أسلوب بفيض بروائع البلاغة في البيان المعجز ؛ وقد ناسب كل واحد منهما موضعه الذي وضع فيه ، وأدَّى معناه كما يجب ، وكما يقتضيه السياق في تجانس بديع ونظم معجز.

ثبت المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبه العصرية : بيروت . (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

أساس البلاغة . جار الله محمود بن عمر الزمخشري . دار الكتب المصرية : مصر . (د . ت)

أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني . تعليق / محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة . ط١ ، (١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .

الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال بهامش الكشاف . ناصر الدين أحمد بن محمد المنير . دار الكتب العليمة : بيروت . ط١ ، (١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .

الإيضاح . الخطيب القزويني . شرح / محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث . بمصر ط٣ ، (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزر كشي . تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة : بيروت. ط٢ ، (د . ت) .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . تحقيق / محمد علي النجار ، المكتبة العلمية : بيروت . (د . ت)

البيان والتبيين . لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق / عبد السلام هارون دار الجيل : بيروت . (د. ت) .

الشعر والشعراء . لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . دار إحياء العلوم : بيروتَ . ط٤ . (١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .

---

[٨٦] - أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري ٠ عالم بالأدب ، له شعر وتوفي بعد ٣٩٥هـ ، ومن كتبه : التلخيص في اللغة ، وجمهرة الأمثال ، وكتاب الصناعتين : النظم والنثر ٠

انظر ترجمته في : الأعلام ١٩٦/٢

[٨٧] - الصناعتين /١٩٠

الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية . إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين : لبنان . (د . ت) .
قصص الأنبياء . لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، المكتبة الإسلامية : بيروت .

الأدب العربي بين الفن و الجمال

Arabic literature between art and beauty

إعداد
حسين عبد النافع أبانكندا

Doi:10.12816/jnal.2021.144693
الاستلام: ٢/١٢/٢٠٢٠ القبول : ٢٠/١٢/٢٠٢٠

المستَخلص :

من الواضح أن الغاية في النقد الأدبي الوصول إلى حد عناصر الهوية الجمالية التي تميّز الخطاب الأدبي عما سواه، كما هو الحال عند النقاد الذين تناولوا الحديث عن أشعار الشعراء التي تم إيرادها في الصفحات السابقة، وإذا تمّ اكتشاف القيم الجمالية الشعرية و متعتها و أثرها على النفس يمكن الحكم على العمل الفني وقتئذ بالفن الصافي و يبدو أنّ دراسة الشعر من الناحية الفنية تعطي الجمال الشعري منازله و مراتبه كما تبرز مكنون ضمائره بالإضافة إلى أنّ الفن يحدّد جماليات التعبير الشعري عند هذا الشاعر و من ذاك، ولا يعني أن تتوافر أدوات الفن الشعري وجود الجمال فيه.

Abstract:

It is clear that the purpose of literary criticism is to reach the limit of the aesthetic identity elements that distinguish the literary discourse from others, as is the case with the critics who dealt with the discussion of the poems of the poets that were mentioned in the previous pages, and if the aesthetic values of poetry and their enjoyment and their impact on the soul were discovered The artistic work at that time can be judged by pure art, and it seems that the study of poetry from the technical point of view gives poetic beauty its homes and ranks, as well as the content of his conscience, in addition to that art defines the aesthetics of poetic expression for this poet and from that, and does not mean that the tools of poetic art are available and the presence of beauty in it.

المقدمة

يخطئ بعض الكتّاب من المحدثين لخلطهم بين مفهوم الجمال و الفن في الأدب العربي؛ إذْ لا يضعون حدّاً فاصلاً بينهما وأثّر ذلك سلبياً مع القارئ، و لعل سبب ذلك راجعٌ إلى عوامل منها ، إنّهم ذهبوا إلى قول بعضهم في تعريف الأدب بأنّه " فن جميل"[١] فنظروا إلى أنّ "جميلٌ" صفة للفن باعتباره ظاهرة لا تنفصل عن موصوفها (الفن) حسب موقعه في الإعراب كما جاء في التعريف السابق فعدّوا الجمال جزءاً لازماً للفن.

بالإضافة إلى هذه العوامل التي دفعتهم إلى هذا الخلط أنّ معرفة الفرق الدقيق بين الشيئين المتلازمين أمرٌ فيه مشقة و لا سيما إذا كان في الشيء غير محسوس، وتزداد هذه المشقة بالنظر إلى درجة الاتصال بين هذين الاثنين كما هو الحال في الفن و الجمال؛ لأنّ درجة الاتصال بينهما عالية، ومنها أنّ بعض الفلاسفة اعتبروا الفن ميداناً وحيداً لحقل الجمال و من هؤلاء الفلاسفة هيغل حيث قصر الفن على الجمال فقال: "نقصر مصطلح علم الجمال على الفن الجميل"[٢] و قال في موطن أخر: "الموضوع الحق لبحثنا هو جمال الفن منظوراً إليه على أنّه الحقيقة الوحيدة لفكرة الجمال"[٣] .

يلاحظ من كلام هيغل أنّ الجمال و الفن ظاهرتان متلازمتان بدليل أنّه أضاف الجمال إلى الفن و هذا يعني من وجهة نظره أنّ الفن هو الجمال، لكن هناك رأي في هذا الصدد خالف رأي هيغل و من معه مما يدع المجال للفرق بينهما يقول جون ديوى " إذا بحثنا الصلة بين الفن والجمال وجدنا أنّ الفن يشير إلى العمل الانتاجي والجمال يشير إلى الإدراك والاستمتاع"[٤] يُستفاد من هذا الكلام أنّ الفن متعلق بمن يقدّمه و الجمال بناظر إليه؛ لأنّ العمل الانتاجي هو عمل الإنسان يحاول أن يحوّله إلى مادة جديدة صالحة، أما الإدراك و الاستمتاع بالجمال فعمل من الناظر إلى منْ قدّم العمل الانتاجي (الفن) وفي هذه الحالة يمكن القول إنّ العمل الأدبي الفني مسعى من مساعي الأديب، لإنتاج عملٍ جماليٍ بقصد إثارة مشاعر السرور في نفس قارئ عمله؛ إذ كان الجمال والذوق العذب يكمُنان في الفن الشعري ولكنهما يَبرزان نتيجة من استجابة قارئ هذا العمل.

النموذج على التمييز بين العمل الفنّي والجمالي.

ولعلّ خير ما يُستشهد به على الحد الفاصل بين العمل الفني والجمالي هو ما أورده محمد بن سلاّم أنّه قال قائل لخلف: "إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنه فما أُبالي ما قلت أنت

---

[١] أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، مبادئ في نظرية الشعر والجمال، ص. ١

[٢] هيغل فيلسوف ألماني تعمق في دراسة علم الجمال.

[٣] عبد المنعم مجاهد، دراسات في علم الجمال، عالم الكتب، ص ١١٩

[٤] الخبرة الجمالية. سرحان ص ٣٣ وانظر "فلسفة الفن" د. زكريا إبراهيم ص ١١٦ - ١٢٠

Doi:10.12816/jnal.2021.144693

فيه وأصحابك.قال إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصرّاف: إنّه رديء فهل ينفعك استحسانك إيّاه"[٥]. ومن الواضح أنّه قد تبيّن دور الناقد من خلال هذا الحوار كما تبدى أنّ العمل الفنّي قد يأتي عند من يقدّمه بأحسن صور، لكن قد ينظر إليه من يحكم عليه وهو الناقد بأقبح ما يكون، ويُعتبر عملُه حدّا فاصلا بين القيمة الفنية للقصيدة وخلافها.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ الجمال حكمٌ يأتي من الناقد الذي له قدرة على الحكم بالجودة التي هي الجمال أو الرداءة التي هي القبح في العمل الفني؛ إذ كان من طبيعة الحال أنّ الفن موهبة لكل شاعر لكن بدرجات تختلف بين الفرد و الأخر.

النموذج على الفروق الفردية بين الشعراء في العمل الفني.

ولعل بهذه الفروق يتضح الجمال في العمل الفني وثبت من النقاد العرب منهم أنّهم يقولون هذا شاعر أشعر من غيره على الإطلاق من دون اختصاص فن من فنون الشعر هو أشعر فيه حينا، وعدم الإطلاق بتعيين فن من فنون الشعر حينا أخر.

والأنسب حسب رأي الباحث أنّه يرى ليس من المجدي أن يتناول بذكر قولهم هذا أشعر من هذا على الإطلاق؛ للسببين السبب الأول أنّه لم يدع مجالا للكشف عن الموطن الجمالي في أدبنا العربي عموما وشعرنا العربي بالخصوص، والسبب الثاني أنّه لا يخفى على أحد ما مسّ نقدنا العربي القديم من العيب، والقبح؛ إذْ إنّه أي (النقد العربي القديم) نقد انطباعي حيث إنّه يتحور على الانطباع.

ولعلّ من الواضح أنّ أبا هلال العسكري تطرق إلى ما قيل في الاختلاف قوى الناس في الشعر" ولاختلاف قوى الناس فى الشعر وفنونه ما قيل: كان امرؤ القيس أشعر الناس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب "[٦]

المثال على الجمال الأدبي في شعر امرؤ القيس.

وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل[٧]

لقد وجد هذا البيت عناية كبيرة لدى النقاد حتى حكموا عليه بالجودة فأدّى ذلك إلى نسبة أشعر الشاعر إلى امرئ القيس، بدليل أنّ هذا البيت ينصّ على وصف امرئ القيس لفرسه إذا ركبه، ورحلاته للصيد، كما تطرق إلى شرح البيت نفسه قدامة" فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد، فلم يتكلم باللفظ بعينه، ولكن بأردافه ولواحقه التابعة له، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يبعها أن تكون الأوابد، وهي الوحوش،

---

[٥] محمد بن سلاّم الجمعي، طبقان فحول الشعراء، ت/ محمود محمد شاكر، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ص .٧

[٦] أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، ت/ علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت،ص.٢٦

[٧] الزوزني ابو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار الكتاب العربي بيروت،ط/٦، ص. ٣٢

كالمقيدة له إذا نحا في طلبها والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة، فيقولون: هو اول من قيد الأوابد، وإنما غزا بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثلهم عند إتيانه بالردف له "[٨] .

ولعلّ أنّ امرأ القيس تفوق على سائر الشعراء في الوصف الذي لم يسبقه عليه أحد، وأثّر ذلك بأن يكون الجمال الأدبي كامناً في شعره وهذا البيت الذي سبق عرضه على وجه الخصوص. ومما يؤيد هذه الفكرة أنّ ابن وكيع قال في معنى قيد الأوابد: "هي نهاية حسن الاستعارة"[٩] وإن كان ابن سنان يعترض لهذا الأسلوب من امرئ القيس فقال عن المعنى للبيت نفسه" لأنه أراد أن يصف الفرس بالسرعة فلم يقل إنه سريع وقال: قيد الأوابد وهي الوحوش أي أنه إذا طلبها على هذا الفرس لحقها لسرعته فكأنه قيدها له وفي هذا من المبالغة ما ليس في وصف الفرس بأنه سريع لأن الفرس قد يكون سريعاً ولا يلحق الوحش حتى تصير بمنزلة المقيدة له.وقد استحسن الناس هذا اللفظ من امرئ القيس حتى قالوا: هو أول من قيد الأوابد"[١٠].

ومما يدل على عدم موافقة ابن سنان على أسلوب امرئ القيس قوله: وفي هذا من المبالغة ما ليس في وصف الفرس.

و من الذين يؤيدون أنّ امرئ القيس هو الذي اخترع هذا المعنى لم يسبقه أحد عليه ابن أثير يقول: " هذا امرؤ القيس قد اخترع شيئًا لم يكن قبله، فمن ذلك أنه أوَّل من عبَّر عن الفرس بقوله: "قيد الأوابد"٢ ولم يسمع ذلك لأحد من قبله"[١١]. ويُلاحظ أنّ كلما لقيه هذا البيت لامرئ القيس من النقاد دليل على الجمال الأدبي في شعره.

المثال على الجمال الأدبي في شعر زهير بن أبي سلمى

وَمَا الْحَرْبُ إِلّا مَا علمتمْ وَذُقتُم ... وَما هوَ عَنها بِالْحَديثِ الْمُرَجَّمِ[١٢]

---

[٨] ط/١ ١٣٠٢ هـ ص.٥٨ مطبعة الجوائب - قسطنطينية قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، نقد الشعر،

[٩] الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه، ت/ عمر خليفة بن إدريس، جامعة قات يونس، بنغازي، ط/١ ١٩٩٤ م، ص.٥٩٤

[١٠] أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م ص. ٢٣١

[١١] ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ص ٨٧

[١٢] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص.١٤٣

ولعل هذا البيت مما يجعل النقاد أمثال ابن قدامة[١٣] يقدّمون زهيرا على غيره من الشعراء في المدح إذا رغب، كان زهير معجباً بهرم بن سنان حينما سعى لإيقاف الحرب داحس والغبراء فأجمل قصائده في مدح هذا الشخص، ولقد نال الشاعر إعجابا حتى عند عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه. قال:" أنشدونى لأشعر شعرائكم، قيل: ومن هو؟ قال: زهير، قيل: وبم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظل بين القول ، ولا يتّبع حوشىّ الكلام ولا يمدح الرجل إلّا بما هو فيه"[١٤]

المثال على الجمال الأدبي في شعر النابغة.

أنبئت أنّ أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد
فلا لعمر الذي قد زرته حججا وما هريق على الأنصاب من جسد
ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذن فلا رفعت سوطي إليّ يدي
هذا لأبرأ من قول قذفت به طارت نوافذه حزّا على كبدي

وكان النابغة الذبياني مجيدا في الاعتذار حتى قيل إنه أشعر الناس إذا رهب[١٥]، ولعلّ من الواضح أنّ هذه الأبيات تتضمن اعتذار النابغة إلى النعمان بن المنذر حينما هدد النابغة بالقتل نتيجة فعل الوشاة حينما كذبوا عليه إلى أن قال المنذر إنّ من يأتيه برأسه فله مكافآة، وقال النابغة يعتذر إليه ليعفو عنه وهذه الأبيات من أجمل ما يذكره النقاد من الأربيات للاعتذار.

المثال على الجمال الأدبي في شعر الأعشى قيس.

ذكر ابن قتيبة أنّ الأعشى هو أوّل من ذكر الصنج في شعره فقال:[١٦]

ومستجيب لصوت الصّنج تسمعه إذا ترجّع فيه القينة الفضل

مما يُلاحظ أنّ الشاعر شبّه العود بالصنج، ولعلّ من الواضح أنّ شعر الأعشى نال إعجاباً عظيماً لدى النقاد بما يدلّ عليه على ما ذكره البغدادي" وَهُوَ أول من سَأَلَ بِشعرِهِ وَكَانُوا يسمونه صناجة الْعَرَب لجودة شعره وَكَانَ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء يفخم مِنْهُ ويعظم مَحَله وَيَقُول شَاعِر مجيد كثير الأعاريض والافتنان وَإِذا سُئِلَ عَنهُ وَعَن لبيد قَالَ لبيد رجل صَالح والأعشى رجل شَاعِر وروى الْمفضل بِسَنَدِهِ عَن الشّعبِيّ قَالَ عبد الْملك بن

---

[١٣] أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الشعر والشعراء، دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٣ هـ ،ص.١٣٧

[١٤] المكان نفسه

[١٥] محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط/١ ١٤١٧ هـ

[١٦] ابن قتيبة الشعر والشعراء، ص. ٢٥٠-٢٥١

مَرْوَان لمؤدب أَوْلَاده أدبهم بِروَايَة شعر الْأَعْشَى فَإِنَّهُ قَاتله الله مَا كَانَ أعذب بحره وأصلب صخره قَالَ الْمفضل من زعم أَن أحدا أشعر من الْأَعْشَى فَلَيْسَ يعرف الشّعْر"[١٧]

ومما لا يخفى أنّ أبا عمرو بن العلاء، والمفضل أعجبا بشعر الأعشى مما ترك لنا مجالاً لإدراك مواطن الجمال في شعره.

ولعلّ من الواضح أن الغاية في النقد الأدبي الوصول إلى حد عناصر الهوية الجمالية التي تميّز الخطاب الأدبي عما سواه، كما هو الحال عند النقاد الذين تناولوا الحديث عن أشعار الشعراء التي تم إيرادها في الصفحات السابقة، وإذا تمّ اكتشاف القيم الجمالية الشعرية و متعتها و أثرها على النفس يمكن الحكم على العمل الفني وقتئذ بالفن الصافي و يبدو أنّ دراسة الشعر من الناحية الفنية تعطي الجمال الشعري منازله و مراتبه كما تبرز مكنون ضمائره بالإضافة إلى أنّ الفن يحدّد جماليات التعبير الشعري عند هذا الشاعر و من ذاك، ولا يعني أن تتوافر أدوات الفن الشعري وجود الجمال فيه.

النموذج على الأشعار التي خالت من الجمال.

ولعل مما يصوّر الحقيقة ويمهّد الطريق إلى دراسة عميقة مفهومة في هذا الإطار أن تُتناول دراسة ايديولوجية؛ لتكشف ما يكمنه الايديولوجيا من إفساد جمالية النص الأدبي شعراً ونثراً.

الايديلوجيا.

ولعل من الواضح أنّ لايديولوجيا أثرا سلبيا على الشعر العربي، فيؤدي هذا الأثر إلى إفساد الجمال الشعري كما تطرق إليه بعض النقاد القدامى والمحدثين على حد السواء، و يُلاحظ أن خير الشاهد في ذلك قولهم في قصيدة المتنبي يهجو بها كافور الأخشيد.

العـــــبدُ ليس لحرٍ صالحٍ بأخٍ لو أنه في ثيابِ الحُرِّ مـــــــــولودُ[١٨]

لا تشترِ العبدَ إلا والعصا معه إنَّ العبيـــــــدَ لأنجاسٌ مناكـــــــيد

الذي يدقق النظر في هذين البيتين يرى فيهما جمالا بلاغيا لكن في الوقت نفسه يرى احتقار المتنبي البالغ للسود ومثل هذا الحتقار في الشعر العربي يدرسه النقاد ما يندرج تحت النقد الثقافي، والنقد الاجتماعي، فالمتنبي يهجو كافور الأخشيد ويصفه بالعبد لأجل نوعه الأسود، ويعيبه بعدم الكفاءة وعدم القدرة على حكم مصر. يبدو أليس ما يدفع المتنبي إلى هذا الهجاء لكافور إلا الايديولوجيا التي يفسد الجمال الشعري.

---

[١٧] عبد القادر بن عمر البغدادي،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت/ عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٤ ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص. ١٧٦

[١٨] مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ج/٨ ص ٣٩٧. أحمد قبش بن محمد نجيب

الخاتمة

يُتوصل من خلال ما سبق ذكره أنّ الجمال يظهر من خلال العمل الفني فدلّ ذلك على الربط الشديد بينهما لكن من الواضح أنّ الفن وسيلة إلى تحقيق الهدف المرجو في الحقل الادبي و هو الاستمتاع بالجمال في النص شعراً كان أو نثراً و من الممكن أن تفوت هذه الوسيلة فيفوت الهدف الذي يرمي إليه أدبنا و يخلو الفن من مواطن الجمال و تتبدى مواطن القبح في ذلك فبهذا كله إنّ الفرق واضح وضوح الشمس بين الجمال و الفن مع شدة القرب بينهما و أما قصر الفلاسفة الجمال على الفن بدون النظر إلى احتماله القبح نوعٌ من الغلط و الخطأ المبين؛ لأنهم أغفلوا الجانب الايديولوجي إذا تغلب على الفن لدى شاعر فتقلّ أهمية الجمال حينا أو عدم هذا الجمال حينا أخر، و أما تعريف بعضهم للأدب بأنّه فنٌ جميلٌ فليس بالدقيق و الأدق من وجهة نظري الأدب إجادة التعبير.

المصادر والمراجع.

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، مبادئ في نظرية الشعر والجمال.
هيغل فيلسوف ألماني تعمق في دراسة علم الجمال.
عبد المنعم مجاهد، دراسات في علم الجمال، عالم الكتب
الخبرة الجمالية. سرحان ص ٣٣ وانظر "فلسفة الفن" د. زكريا إبراهيم
محمد بن سلاّم الجمعي، طبقان فحول الشعراء، ت/ محمود محمد شاكر، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع
أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، كتاب الصناعتين في الكتابة والشعر، ت/ علي محمد البجاوي،
الزوزني ابو عبد الله، شرح المعلقات السبع، دار الكتاب العربي بيروت،ط/٦
مطبعة الجوائب - قسطنطينية قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، نقد الشعر،
الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد ابن وكيع، المنصف للسارق والمسروق منه، ت/ عمر خليفة بن إدريس
أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى
ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة،
محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط/١
عبد القادر بن عمر البغدادي،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت/ عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة،
مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ج/^ ص ٣٩٧. أحمد قبش بن محمد نجيب

Doi:10.12816/jnal.2021.144693

ديداكتيك اللغة العربية - القراءة المنهجية في المستوى الثانوي - دراسة نقدية

Didactic Arabic Language - Systematic Reading at Secondary Level - A Critical Study

إعداد

عبد الرحيم حكى

تخصص تدريسية اللغة العربية - كلية علوم التربية – الرباط بالمغرب

Doi:10.12816/jnal.2021.144694

الاستلام : ٢٠٢٠/٧/٢٥ القبول : ٢٠٢٠/٩/٢٠

المستَخلص :

مع صدمة التراجع المكوكي، و التدني المهين للمستوى القرائي لدى تلامذة المدرسة المغربية، و المستوى الثانوي على الخصوص، و الذي صدعت به مجموعة من التقارير : كتقرير البنك الدولي لسنة ٢٠٠٨، و تقرير اليونسكو يناير ٢٠١٤، و تقرير منظمة التنمية البشرية لعام ٢٠١٣.....و غيرها، و نظرا لعقم كل الإصلاحات المتتالية و تتابع النكبات و الإخفاقات تترى لكل الإجراءات الاستعجالية و العلاجية، و لمعظم المواثيق الصادرة لإنقاذ المنظومة التعليمية، أمام هذا كله، صار مبدأ الارتجال و التخبط في الحلول الترقيعية، غير المدروسة و المتهورة أحيانا ، هو القشة التي تتمسك بها الجهات المعنية محاولة الجنوح بسفينة التعليم إلى شط الأمان. و على مستوى تحليل النصوص الأدبية، فقد برزت "القراءة المنهجية "، لتجاوز عوائق التقدم القرائي و عراقيل الفهم و الإبداع الأدبي.

Abstract:

With the shock of the shuttle regression, and the humiliating low level of reading among Moroccan school students, and the secondary level in particular, which resulted in a number of reports: such as the World Bank report for the year 2008, the UNESCO report in January 2014, and the report of the Human Development Organization for 2013 .. ... and others, and given the futility of all successive reforms and successive calamities and failures, all urgent and remedial measures are observed, and for

most of the charters issued to save the educational system, in front of all this, the principle of improvisation and confusion in patchwork solutions, ill-considered and sometimes reckless It is the straw that the concerned authorities hold on to the attempt to strand the ship of education to the coast of safety.

مقدمة :

ظهرت القراءة المنهجية في النظام التربوي الفرنسي ، بعد بلورتها على يد فريق برئاسة (ميشيل ديكوت)،منذ أكثر من عقدين من الزمان، سنة ١٩٨٧، و بدأ الحديث عنها في المغرب رسميا في منتصف التسعينيات ، و تحديدا عند إرساء البرامج الجديدة في موسم ١٩٩٦/١٩٩٧، كما تم اعتمادها بشكل مستحدث في الرؤية الاستراتيجية ٢٠١٥/٢٠٣٠. ويرجى منها تطوير قدرات المتعلم لاكتشاف متعة الأدب و استخدام المناهج النقدية، و هي نقيض الممارسة المدرسية المرتكزة على التفسير و الشرح. غير أن هذه المقاربة الديداكتيكية لم تسلم من عيوب أسقطتها في شرك التساؤلات و الإشكالات ، و خصوصا في قصورها على بلوغ الآمال، و تحقيق المرامي و الأهداف المنوطة بها.

و قد جاء هذا البحث ساعيا إلى تحقيق الأهداف التالية :

☆ تحديد مفهوم القراءة المنهجية.

☆ الوقوف على مرتكزاتها النظرية و العلمية.

☆ عرض أهم مناهج النقد الأدبي المعاصرة.

☆ استبانة الخلل الذي خلف التفاوت بين التنظير و التطبيق.

☆ اقتراح مقاربة ديداكتيكية عملية.

و ذلك وفق الخطة الآتية :

- توطئة.
- منظومة مناهج النقد.
- القراءة المنهجية في المدرسة الثانوية.
- تقارير حول مستوى القراءة في المغرب .
- مقاربة ديداكتيكية مقترحة.

و يرسو هذا البحث على مناهج البحث التالية:

- المنهج الوصفي.
- المنهج النقدي.
- المنهج الاستقرائي.
- منهج التحليل.

●توطئة:

إن النص الأدبي فضاء مترامي الأطراف، سريع الاتساع، كثير الحركة، متناسق الإبداع، غائر الفهم، فهو يضيق من زاوية الرائي، و لكن لا يحجره البصر و لا تدركه البصيرة، يتهافت عليه القراء بشتى مناهج التحليل و نهوج التأويل، و يتوسلون إلى ذخائر الأفكار لفك الشفرات و قراءة الكنه و فهم الخطاب و استيعاب المطمور بين السطور.

منذ ظهور الكتابة، خطت المشافهة لمراسلة البعيد في الزمان و المكان، فطال عمر الأفكار ، و تزاحمت الرفوف بالمخطوطات و مصادر الثقافات الغابرة، ثم تلقفها أهل العلم و الفكر لتحقيقها و الاستفادة مما تنضح به من إرث الإبداع و المعرفة. فهذا (سيجموند فرويد)،يستشف نظرية اللاشعور من أفواه الأدباء و الشعراء، و (اينشتاين)، يطور النسبية عن مبدأ جاليليو.

إن المعرفة تتراكم و تبعث بالفطرة أيضا ، و لو اختلفنا في حد نسقي للمعرفة ، أ هي تأويل تفاعلي عقلي مع الموجودات؟ أم هي إيجاد و خلق لما كان منعدما؟ أم أننا سنتفق على معرفة إبداعية و معرفة استكشافية؟. و قد جاء في تعريف لها، حسب معجم" لالاند"، أنها الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن، سواء كان حصولها مصحوبا بالانفعال أو بدونه. و جاء في معجم "مفاتيح العلوم الإنسانية" أن المعرفة حصول الذات، عقليا و عمليا، على شيء ما، لاكتشاف خصائصه أو خواصه.

●منظومة مناهج النقد الأدبي المعاصرة :

○مفهوم شفرة النص :

الشفرة لغة من الفعل شفر، بفتح الفاء أو كسرها، و يعني أصاب منتهى الشيء و حده، و تطلق اسما على السكين و المحلقة، و شفرة السيف حده و حرفه و طرفه.

و اصطلاحا هي إشارات لغوية منطوقة أو مكتوبة أو ايحائية ، تستخدم في صنف فني معين، كالمسرح أو الأدب أو الرسم أو السينما لتوفير قناة تواصلية بين طرفي الخطاب.

و إذا ضممنا المفهوم اللغوي إلى الاصطلاحي، حصلنا على تعريف نسقي، و هو:

شفرة النص هي ألفاظ يتوجب فكها للوصول إلى فهم يفتح حدوده الغامضة مما ييسر تحقيق التواصل و التفاهم بين طرفيه و هما كاتبه و قارئه.

○مفهوم المنهج:

المنهج لغة هو الطريق و السبيل الواضح و الوسيلة البينة التي يتدرج بها للوصول إلى هدف معين، و قد يكون صفة، جاء في لسان العرب :طريق نهج أي بين و واضح، و نهجت السبيل أي بينته و أوضحته، و صيغته الصرفية اسم زمان أو مكان على وزن

مفعل، بفتح العين، و بالتالي فهو رهين بظروف خاصة مندمجة في زمان و مكان غير دائمين.

و اصطلاحا، فقد ارتبط بالمنطق فدلل على الوسائل و الإجراءات العقلية طبقا للحدود المنطقية التي تؤدي إلى نتائج معينة، و هو ملتزم بحدود الجهاز العقلي و حريص على عدم التناقض. كما ارتبط في عصر النهضة بحركة التيار العلمي، خاصة مع (ديكارت)، و هو، أي التيار العلمي، يجمع بين العقل و الواقع بمعطياته و قوانينه، مما أدى إلى ولادة المنهج العلمي (الملاحظة، الفرضية، التجربة، الاستنتاج).

و المنهج النقدي عام و خاص، أما العام فهو ينبني على مبدأ الشك للوصول إلى اليقين، فكل مسلمة لا تقبل إلا بعد عرضها على العقل و تصح البرهنة عليها كليا، و ليس اعتمادا على شيوعها و انتشارها. و أما الخاص فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية و بطرائق معالجة قضاياها و النظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله و تحليلها. إن المنهج حسب التعاريف السابقة يرتبط بالمعرفة و البرهنة و الأهداف، و قد لخصه (جادامير)، بقوله إن المنهج شيء يطبقه شخص ما على موضوع ما، للحصول على نتيجة بعينها.

إن معرفة شفرة النص الأدبي، قد تكون تأويلا سطحيا و محجرا في دلالة الكلمات و معاني التراكيب ،و ذلك ارتكازا على السياق الداخلي اللغوي و الخارجي لبيئة الكتابة، أي ظروف الكاتب الاجتماعية و التاريخية و النفسية، و قد أشار (فيرث)، إلى ذلك في قوله بأن الافتراض الأساس، أن كل نص يعتبر مكونا من مكونات سياق معين.

و قد تكون معرفة هذه الشفرة تأويلا ثوريا و إبداعيا، منفلتا من سلطة السياق، و يكون فيه القارئ متفاعلا، يؤثر و يتأثر ، يعمل وفق مبدأ :الكاتب ميت و النص كيان جامد لا روح فيه حتى يحييه قارئه.

و زاد المؤول منظومة من المناهج تتلون بين القدم و الحداثة، و سنكشفها مرتبة من الأقدم إلى الأحدث ، و ذلك ليتلمس القارئ مكامن التحسن و التغير الذي لحقها مع مرور الزمن.

- المنهج التاريخي :

احتضنته المدرسة الرومانسية، و يتلخص في رصد البيانات عن العصور السابقة و التوثيق المضبوط للنص اعتمادا على العقل و البرهان، و مدى صدقية النسبة لصاحبه و لمراجعه و مصادره، دون الغفلة عن البعد المكاني لتوصيف علاقات الإبداع المحلية و الإقليمية و العالمية تفاعلا و تداخلا و تدافعا. و لهذا يذكر صاحب النص و مكان ولادته و بيئته و ظروف عيشه.

○ المنهج الاجتماعي:

قد يكون هذا المنهج تربى في حضن التاريخي، و خصوصا في البعد المكاني. تأسس على مبادئ الطبقية و المستويات المجتمعية، و تفاعلات المجتمع و نظمه و تحولاته. فالفرد يكتب في جوفه و ينهل من معين أحداثه و يستقي منه أفكاره. و قد تختلف الكتابات مع واقع المجتمع و تعاكسه تماما، و قد تعكسه و تنسخه بدقة و صدق. و لأن علاقة الأدب بالمجتمع قد تتباين و تتعاكس تبنى أصحاب هذا المنهج قانون العصور الطويلة لتحقيق دراسة سليمة و مقبولة.

○ المنهج النفسي:

بدأ مع(أفلاطون)، في حديثه عن منظومات القيم و الحياة، و (أرسطو)، في نظرية التطهير، و لكنه تبلور بشكل جيد مع (فرويد)،في نظرية اللاشعور. حيث إن الأديب يختزن في ذهنه شخصية تتضمن الانفعالات و السلوكات المطمورة، و لواعج نفسه و آلام طعنات الرغبات المكبوتة، فيدبجها في كتابته لينقلها للآخرين، و هذا المنهج دقيق في تحليل النص للوصول إلى شخصية باثه، و الغوص في تجاربه القاسية و لوعاته العاطفية.

○ المنهج البنيوي:

كانت ارهاصاته في الاتجاه الشكلاني الروسي ما بين ١٩١٠ و ١٩٣٠، و قام (رومان جاكبسون)،بنقل هذا الفكر إلى مدرسة "براغ"، ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، و قد ساعد ذلك في ظهور مجموعة من المفاهيم و الأفكار البنيوية، و بتلاقحها مع مدرسة "النقد الجديد "، الإنجليزية ذات الاتجاه المماثل انبثق نهج نقدي يتمحور حول النص في ذاته معزولا عن كل المؤثرات الخارجية، و هو بالتالي نموذج لغوي خصب الفكر و أداة تحليلية تبعا للثنائية السانكرونية و الدياكرونية. الأولى تعنى بتطور اللسان آنيا و في حقبة متزامنة مع نسق معين، و الثانية تعنى بدراسة اللغة تاريخيا و عبر مراحل طويلة من التطور.

○ المنهج السيميائي :

السيميولوجيا بلسان أتباع مدرسة " جنيف " السويسرية، أو السيميوتيك بلغة أتباع "شارل بيرس " ، و هما مدرستان متباعدتان و لكنهما درستا فكرا واحدا ، و بمفاهيم مختلفة، و توصلتا إلى نتائج مشتركة و متجانسة. و خلاصة هذا المنهج تتجلى في كون العلامة سنن ثقافي، تتلون على نطاق الزمان و المكان ، و من مجتمع لآخر، و دلالتها قابلة للتطور تبعا لتقدم المجتمع و ازدهار حضارته و نهضة فكره، و قد تكون العلامة ملفوظة أو إشارة أو رمزا ، تشير إلى دلالة متواضع عليها و نظام مشترك بين عناصر الفعل التواصلي ، مما ييسر التفاهم و فك لغز الخطاب.

○ نظرية القراءة:

تعد القراءة نشاطا خلاقا، مما يجعل المشروع الحديث عن العمل القرائي موازيا للإنتاج الأدبي، و ربما كان التحديد الذي قدمه(آيزر)، لهذا النشاط سيسدد فهم النص بالإشارة إلى وقائع التلقي لا إلى وقائع الكتابة. فالنص ،حسب هذا المنهج، يعرض نفسه على القارئ لينتجه من جديد.

○ نظرية التلقي:

هي جماليات الاستقبال لدى المتلقي النموذجي العظيم المبدع، و بدأت مع (ياوس)، و مفادها أن دراسة الأدب عملية تشخصها فقرات نوعية و مراحل من القطيعة، و منطلقات جديدة. و تركز على العلاقة بين القارئ و النص.

○ نظرية التأويل :

النص نسيج من فضاءات فارغة و فجوات تركها الكاتب عن قصد ليملأها القارئ . و هذه الفراغات تدعى البياضات الدلالية. إن التأويل عمل جريء، فالنص خصم يتطلب تجاسرا و عنفا و توترا عقليا و منطقا ضابطا لكل هذا الصراع الفكري ،الذي يسمح بسد فجواته و ملء فراغاته، اي بعثه من جديد، انتقالا من زمن الكتابة إلى زمن التلقي ، و ذلك اعتمادا على قدرة الدلالة التطورية و التحولية عبر الزمان و الثقافات، فلا شك أن المدلول فارغ و هو قابل للحشو .

يقوم التأويل على آليات أهمها :

☆ النسبية ، فلا نص مطلق و لا فهم مطلق.

☆ منهجية صناعة و توليد المعنى.

☆ الاحتمال و الترجيح، الصحة و الخطأ، و التخمين و التصديق.

التأويل صراع فكري بين الباث و القارئ، يفضي إلى توليد الأفكار و إعادة إنتاج النصوص.

○ نظرية التفكيكية :

هي طريقة لقراءة النصوص تقوض مفهوم النسق النصي، إنها استراتيجية الذين يتشوفون إلى التحرر السافر من سلطة النص و ديكتاتورية المعنى و الحقيقة. نثر بذورها (دوسوسير)، حين زعم أن المعنى غير حاضر في اللفظ ذاته، بل هو وليد الاختلاف مع العناصر الأخرى، و طورها (جاك دريدا)، حيث عد الاختلاف إحالة إلى الآخر، و إرجاء لتحقيق الهوية في انغلاقها الذاتي، و هو الأصل المطلق لكل معنى و لكل دلالة، و يردف مبينا أنه لما كان الأثر دون الأصل، فإن المعنى أيضا يفقد كل مصدر يعود إليه. و يرى (دريدا)، أن النص عالم بريء صالح للتأويل، بناء على حرية الرؤيا و استخلاص المعاني، إما جدا أو هزلا، و إما حقيقة أو تمثيلا. و بالتالي الابتعاد

عن فكرة المركز "اللوغومركزية " ليتجاوز التفكير الذي يؤدي إلى النرجسية و الانغلاق.

●القراءة المنهجية في المدرسة الثانوية :

○مفهوم القراءة المنهجية :

لقد سبق أن عرفنا مفهوم المنهج، و أما القراءة ، لغة، فهي من الفعل "قرأ" بمعنى جمع و ضم، (إن علينا جمعه و قرآنه)سورة القيامة، الآية ١٧. و قيل معناه :بين و أوضح، كما يأتي بمعنى :لفظ و ألقى. و بالتالي فالقراءة هي ضم و جمع لرموز و إشارات لغوية مخطوطة غامضة لكشفها و استجلاء خفاياها، و ذلك تلفظا بصوت مفهوم و معبر ، و بمعاني سهلة و واضحة.

تعد القراءة ،اصطلاحا، مفهوما نقديا معاصرا، حتى صارت نظرية حديثة، و هي ترمي إلى تحقيق تأويل تفاعلي وفق علاقة تبادلية بين المتلقي و النص. تندمج فيها قدراته الفكرية و قناعاته الثقافية مع النسيج التركيبي للمخطوط. و تتمحور حول توسيع دائرة الدلالة، بعيدا عن المركز الذي يشكله الدال و المدلول، مما يجعل القراءة قراءات متعددة عبر الزمان و المكان.

و نرى بأن للقراءة بعدين أساسيين، و هما:

الأول : تحويل الحرف المكتوب إلى صوت واع ، بناء على صورة ذهنية تعهدها القارئ. فإذا تطابق الصوت مع الحرف، فهذا إدراك للعلاقة بين الدال و المدلول و قدرة على فك الشفرة. و إذا تباين الصوت مع الحرف فهذه صعوبة في الربط بين الدال و المدلول و بالتالي عجز عن فك المخطوط.

الثاني: هو الفهم الواعي للصوت المنطوق، و يتم بمهارة الانتقال إلى البعد الثالث، و هو الدلالة، أي الربط بين الدال و المدلول و الدلالة التي تعد تأويلا عن تسنين ثقافي. فيتحقق التفاعل بين الذات و المقروء مما يفضي إلى بناء معرفي و تطور فكري.

إن قران القراءة بالمنهج ،على سبيل الصفة النحوية أو التوصيف الصرفي، هو تقييد و تخصيص لقراءة ذات صيغة منطقية و ضوابط محكمة، لتحويل التلميذ من قارئ انطباعي إلى متفاعل مبدع.

و لكن صعوبة ضبط الانزياح و السقوط في متاهة التقويل، جعل مفهومها يتخبط بين التحرر التام ، أو التمسك و الانقياد للتركيب النصي، فمن " هي قراءة مدروسة و معدة بإحكام ، تمكن التلاميذ من إثبات أو تصحيح ردود أفعالهم الأولى كقراء...بمنح قدر أكبر من الصرامة لما كان يسمى عادة شرح النص "، إلى " أنه حفاظا على خصيصة النص كنسيج، يمكن أن تتنوع القراءة تبعا لنظام النص أو لنظام أكثر تركيبا". الجريدة الرسمية للتربية بفرنسا.

و يشير (بوانسيو) و (موجنو)، إلى أن للقراءة المنهجية ثلاثة معان، و هي :

▪معنى عام، يجعل القراءة المنهجية ، كل قراءة ترفض الانطباعية الساذجة، و تقترح منهجيات و تقنيات للتحليل و إنتاج المعنى، و تنظر إلى القراءة باعتبارها إعادة للكتابة.
▪معنى أقل عمومية، يرى في القراءة المنهجية ممارسة مدرسية و جامعية ، جاءت بديلا لتفسير النص، و تتولى إعطاء أدوات لتحليل نص قصير خلال حصة دراسية محددة.
▪ معنى ضيق، يربط القراءة المنهجية بما يسمى" الاختبار المنهجي"، و هو من اختبارات امتحان البكالوريا ، ينجز شفهيا في مدة وجيزة.

و جاء في كتاب "مدخل إلى القراءة المنهجية "،لعبد الرحيم كلموني.، صفحة ١٤: (إن القراءة المنهجية تشدد على سيرورة بناء المعنى، و تحدث من خلال ذلك، تحولا من المعنى الذي يشرحه المدرس للتلاميذ لاتجاه المعنى الذي ينتجه من ذاته، و خصوصيات كفاياته الشخصية).

○ المرتكزات النظرية :

يمكننا إجمالا تحديد هذه الركائز بالرجوع إلى بعض التعريفات، و استقراء للأهداف المسطرة في شرعنتها كمقاربة تدريسية. و إضافة إلى نظريات القراءة ،التلقي و التأويل، المذكورة آنفا، ندرج ما يلي:

☆اللسانيات المعرفية:

هي تيار لساني، يركز على أن الملكة اللغوية فطرية ، و توجد عند كل إنسان، و تتجلى في القدرات الذهنية و الفسيولوجية، التي تسمح باكتساب اللغة، و الذي لن يتحقق إلا باندماج الطفل في أسرته و مجتمعه، ليستقبل الألفاظ و العبارات التي تكسبه كفاءة لغوية تستبطن نظاما نحويا. و إذا لم يندمج ،فنحن أمام ظاهرة الأطفال المتوحشين، و هذه اللسانيات تفسر لنا حالات و ظواهر متعددة خاصة بتعلم الكلام و بعض أمراض النطق.

☆اللسانيات النفسية :

يؤكد هذا المجال على الطابع الدينامي للقراءة، و يعدها تفاعلا بين القارئ و النص، في وضعية تواصلية مؤجلة، و إذا اعتبرنا أن الألفاظ و العبارات ما هي إلا ترجمات لفكر الكاتب وفق ثقافته و محيطه و نفسيته، فإن المتلقي يناجي نفسه في تلك الملفوظات، فاللاشعور يهمس للاشعور. و بالتالي فهذا العلم يريد فتح قناة بين القارئ و الكاتب ، ليس ليقرأ افكاره و يكشف مقصديته، و لكن ليستمد منه منهجه في تأويل الخواطر الى ألفاظ، كي يعكسها هو ليستنبط من تلك الألفاظ أفكارا وفق تجربته و بيئته.

إن اللفظ تعبيري ،لأنه يظهر ذات الباث في حكيه و سرده، و تأثيري، لأنه ينير سراج الإبداع في ذات المتلقي. الكاتب تتضمن كلماته دلالات تنبعث من أوجاعه و أوضاعه، فكل لفظ هو خبرة و تجربة، و النص ليس سجلا جافا للأحداث و الوقائع في سذاجتها، و إنما هو نتاج لمكبوتات متراكمة في اللاشعور، تتطلب من القارئ مفتاحا

لحل شفرتها و فهمها. إن اللغة وعاء للانفعالات النفسية، و السرد دباجة بمداد الأشواق و حبر الأذواق، ينوء بلوعات العواطف و لواعج الصبابة.

☆ علم النفس المعرفي:

إن الغرض من القراءة المنهجية هو تحويل المتعلم إلى مؤول و قارئ مبدع، و قادر على تجاوز المعرفة السطحية إلى المعرفة الضمنية المشفرة، أو ما قد نسميه "الميتامعرفة"، و يشير (بروبر)، إلى أن العديد من الدراسات قد أكدت على أنه يمكن تعلم مهارات ما وراء المعرفة، و لكي يصبح المتعلم ذا مهارة فوق-معرفية في القراءة، يجب على الأستاذ تزويده بتقنيات النقد الأدبي التي تساعده على نفخ الروح في أي نص يواجهه. و لقد أكد كل من (باريس)،و(وونكراد)، استطاعة الطلبة تعزيز هذا التعلم عن طريق إدراكهم لتفكيرهم الخاص عندما يجرون فعل القراءة و الكتابة و حل المشكلات. و بإمكان الأساتذة تزويد متعلميهم بالاستراتيجيات الفعالة لإنجاز هذه المهام.

و تقترح (بالينكسار) و (براون)، تقنية التعليم المتبادل كطريقة فعالة لبناء معنى النص:

- الإيجاز ، أي تحديد الفكرة الرئيسية في النص و تفسيرها.
- توليد الأسئلة التي تتناول اختبارات الاستيعاب و التذكر.
- تحديد الوقت الذي تكون فيه حالة الفشل في الاستيعاب، و اتخاذ فعل ضروري لإرجاع المعنى بوضوح.
- التنبؤ، أي تشكيل فرضية حول ما يشار إليه ببناء النص المقدم و محتواه.

و على العموم ، تقوم تقنية "ما وراء المعرفة "، على نقل خبرة الأستاذ إلى المتعلمين بالتدريج و التدريب.

كما يمكننا لفت الانتباه إلى نظرية (بياجي)،التي تتلخص في كون القارئ لا يشاهد تجربة القراءة بل يشهدها و يعيشها، كما أن المعنى ليس بيد المعلم ليقوم بتوريده للتلاميذ، بل هو موجه و مخطط لوضعيات إشكالية، يتحتم على المتعلم حلها و معالجتها في حرية و في حدود المشكل.

☆ لسانيات النص :

ظهرت، هذه اللسانيات، للانتقال من دراسة الجملة إلى دراسة النص في كليته، و ذلك بمعرفة البنى التي تساعد على هذا التحول. و علم النص فرع من اللسانيات، يرى النص نظاما تواصليا و إبلاغيا، و يسعى إلى وصفه صوتيا، صرفيا، تركيبيا، دلاليا و تداوليا، وفق مقاربات أهمها :

- المقاربة المعجمية: تعاملت مع النص في ضوء رؤية دلالية، بطريقة إحصائية.
- المقاربة اللسانية التركيبية: تبناها (هاريتس)، تعد النص جملة كبرى تخضع للمقاييس اللسانية كالجملة الصغرى، تمتاز بالانتقائية و التجزيئية. أسست برنامج تحليل الخطاب

وفق البعد الصوري و الاجتماعي. حيث يقول (هاريتس): " من الممكن تصور تحليل الخطاب انطلاقا من صنفين من المشاكل مما في الواقع، الأول يخص اللسانيات الوصفية، و يخص الثاني العلاقات بين الثقافة و اللغة " (جميل حمداوي،محاضرات في لسانيات النص،ص٢٣).

▪ المقاربة التداولية: تجاوزت هذه المقاربة اعتبار النص نقلا للأخبار و تبادلا للأحاديث، و إنما هو أفعال إخبارية و أخرى إنجازية، أي جمل خبرية و أخرى إنشائية. و كلاهما خطاب مفيد يلزم السامع أو ينقل إليه شعور المتكلم.

إن لسانيات النص تسعى لضبط التحام النص و اتساقه، و تحليله إلى مقاطع و متواليات سردية أو حجاجية أو حوارية أو إخبارية، ثم تبيان الوحدات الكبرى و الصغرى و استجلاء مختلف الروابط التركيبية و الدلالية.

○خطوات تدريس القراءة المنهجية :

تروم القراءة المنهجية ، من منظور دليل التوجيهات التربوية و البرامج الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي، إلى ملامسة الأهداف التالية :

▪ توجيه المتعلم إلى ملاحظة العناصر الأساسية المكونة لأنماط النصوص، و تجميع هذه الملاحظات لاقتراح فرضيات القراءة.

▪ مساعدة المتعلم على رصد كيفية انتظام هذه العناصر و إدراك مظاهر التفاعل فيما بينها.

▪ تنبيه التلميذ إلى سبل اكتشاف معنى النص و مسار بنائه، بدل إسقاط الأحكام القبلية و الجاهزة عليه.

▪ الانتباه إلى ما يعطي للنص وحدته المركبة، و معرفة الطريقة التي يتفاعل بها الشكل مع المضمون داخل النص.

▪ محاولة تركيب بعض المثيرات الداخلية و الخارجية لإبراز علاقة النص بمبدعه.

▪ استخلاص مقصدية الكاتب المبدع.

و ذلك بتتبع الخطوات التالية:

▪ <u>لحظة ما قبل القراءة:</u>

هي لحظة استحضار المعرفة و المعطيات من طرف المتعلم دون أدنى اجتهاد، و يقوم الأستاذ بتشخيص هذه المكتسبات. و هي كذلك مرحلة جمع المعلومات اللازمة لفهم النص و تحليله، و وضع فرضيات و إعداد قبلي للنص(أكتشف النص/أتعرف الكاتب).

و تعتمد خلالها التقنيات الديداكتيكية التالية:

□ تقنية استحضار التجربة.

□ تقنية سيناريو التوقعات.

□ تقنية الكلمات-المفاتيح.

▪ لحظة القراءة الاستكشافية:

هي لحظة الاقتراب من النص، و التعرف على محتوياته و مكوناته دون التقيد بالتفاصيل. و يتم خلالها إلقاء نظرة خاطفة لمسح صفحة النص، ملاحظة الصور ، موقع النص داخل الصفحة، قراءة العنوان و تفكيك عباراته، استنباط مؤشرات الكتابة الداخلية كالإيقاع و التراكيب. و بعد هذا صياغة فرضيات عفوية ممهدة للفهم.

▪ لحظة القراءة المنظمة:

يتم أثناءها تحديد مشروع القراءة، و استراتيجية العمل، إنها لحظة بناء و إنتاج، و تنجز عبر خطوات أهمها:

□ الفهم: قراءة جهرية، و أخرى فاحصة لاستخراج مكونات المعنى و ترتيبها ثم تحويل النص من سياق لآخر.

□ التحليل : كشف شروط إنتاج النص و آلياته.

□ المقاربة المعجمية و ذلك من خلال استخراج عبارات و ألفاظ تتكرر.

▪ لحظة انفتاح القراءة:

هي مرحلة الاستثمار و الامتداد، و تهدف تمكين التلاميذ من توظيف مكتسباتهم و اختبارها عن طريق تركيبها و تطبيقها و تقديم منتوج مغاير.

و خلالها تثار زوبعة فكرية من ردود الأفعال (الآراء الشخصية، تلخيصات، مواقف خاصة، خلاصات و تصورات و مقارنات). بكل حرية و بتوجيه من الأستاذ.

○ المقاربة النقدية:

إن هذه الممارسة البيداغوجية في تحليل النص الأدبي، تستعمل في كل الكتب المدرسية، و موضوعات الامتحان و القرارات التربوية، و لكن اللافت ، مما سبق، أنها عقيمة و هاضمة لحق الإبداع اللغوي كتابة و مشافهة. اعتمدت في دول عديدة و تم الاستغناء عنها لجلاء أسقامها و استفحال علاتها، و قد لفظها النظام التربوي الفرنسي سنة ٢٠٠٠، لأنها تتسم بالنمطية و الاجترار المعرفي، و الخلط في المرتكزات النظرية و التصورات التربوية، و هذا يؤدي إلى ابتذال الأنشطة و الارتجال في تدريسها.

إن القراءة المنهجية لم تلمس مناهج النقد الحديثة كالقراءة و التلقي إلا ادعاء، مما سبب تعليما هزيلا ، و نقدا ساذجا للنص ،و لوكا معيبا للمقاربات التقليدية ، و رجوعا من الخلف إلى تفسير النص و شرحه، و اجترارا لمقصدية الكاتب، و نهلا من معرفة مسطرة و محددة و معدة سلفا.و ذلك في مفارقة سافرة لما يشهر لها من مرتكزات نظرية، و يسوق لها من مبادئ حديثة، و أهداف تربوية واعدة. و هنا نتساءل، لماذا هذا الصدع بين صدح التنظير و أجراة التطبيق؟ و الجواب لا يغيب عن أطر التربية، أمام تدني المستوى التعليمي و المعرفي للتلميذ ، فهو عاجز على تقمص دور القارئ المبدع،

لذا يعدل الأستاذ، و بالأحرى ، المنهاج على ترك النص في مواجهة مفتوحة مع متعلم أعزل.

و قد جاء في كلام لعبد الرحيم كلموني، و هو مفتش اللغة العربية بالسلك الثانوي، " إن القراءة المنهجية لا حظ لها من المنهجية، إذ إنها ليست سوى برنامج قرائي نمطي يسلك الخطوات نفسها بدون تجديد أو اجتهاد، و يرسخ ،هذه العاهات البيداغوجية ، الكتاب المدرسي الذي يقدم للمعلم و المتعلم وصفة جاهزة ما هي إلا اجترار لطرائق عقيمة ممارسة منذ عقود طويلة".

● تقارير حول مستوى القراءة في السلك الثانوي:

لقد أجمعت كل التقارير الدولية و العربية و الوطنية، على أن المستوى القرائي للمتعلمين، و خصوصا السلك الثانوي، لا يبشر بخير. بل هو في تقهقر حاد و مخيف، و هذا في نقيض سافر لكل الدعايات التي تروج حول الإصلاح و التجديد و التحسين، و كأن تقويم مسار السفينة استعصى و تمرد على مجرى الرياح. و كشرت هذه الأزمة عن أنيابها في السنوات الأخيرة لتجعل النظام التربوي أكثر تخبطا، و أشد حيرة و تيها، رغم كل الاقتراحات المقدمة و القرارات المتخذة. فما يزيد ذلك الجسم التربوي إلا أعطابا و إنهاكا، حتى صار في دركات السلم و ذيل الترتيب.

تستند معظم التقارير على مؤشرات معيارية و عالمية، و نتائجها تتصف بالحياد و الصدق ، رغم بعض المؤاخذت، و لا تحابي بلدا، و لا تهضم آخر. و من بين هذه التقارير :

*تقرير البنك الدولي لسنة ٢٠٠٨:

يوم الإثنين ٤ فبراير ٢٠٠٨، بعمان، الأردن، حول موضوع " إصلاح التعليم في الشرق الأوسط و شمال إفريقيا ". قام خبراء بتصنيف ١٤ دولة، حسب معايير الملاءمة و الفعالية و المردودية لنظام التربية و التكوين، حصل المغرب على الرتبة ١١.

* تقرير اليونيسكو:

في يناير ٢٠١٤، صدر عن منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (اليونيسكو)، التقرير العالمي الجديد حول _تحقيق الجودة في التعليم في العالم_، و وضع هذا التقرير المغرب ضمن ٢١ أسوأ دولة في مجال التعليم. كما أكد على أن أكثر من نصف عدد التلاميذ لا يتعلمون ما يلزمهم من مهارات أساسية في القراءة و العلوم.

* تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠١٣:

أصدر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقريرا أكد فيه أن معدل إلمام البالغين(فوق ١٥ سنة) بالقراءة و الكتابة بلغ ٥٦,١%، و أن نسبة الحاصلين على مستوى التعليم الثانوي، لا تتعدى ٢٨%.

* نتائج الدراسات الدولية لقياس مدى تقدم القراءة في العالم (بورلز /تيمس):
أكدت هذه النتائج أن ٣٣% من التلاميذ حصلوا على نتائج متدنية، و أن مستوى الثاني الإعدادي قد تراجع دون ٣٨٧ نقطة ب ١٦ نقطة (تقريبا ٣٧١ نقطة)، بين سنتي ٢٠٠٣/٢٠١١.

* تقرير الخمسينية:
هو تقرير على مدى خمسين سنة من الاستقلال و آفاق سنة ٢٠٢٥، و هو رسمي أنجزه فريق يزيد على ١٠٠ باحث مختص، و أشرف عليه مستشار الملك (مزيان بلفقيه)، نشر سنة ٢٠٠٦، أكد على اختلالات كبرى : ضعف القدرة الإدماجية للتعليم، تراجع المردودية و جودة التحصيل في القراءة و الكتابة، و عدم التمكن من اللغات.

* تقرير المجلس الأعلى للتعليم سنة ٢٠٠٨:
لفت هذا التقرير الانتباه إلى الموسم ٢٠٠٦/٢٠٠٧، حيث غادر المدرسة ١٨٠٠٠٠ تلميذ، لأسباب في التعلمات الأساس و ليس الطرد.

●المقاربة الديداكتيكية المقترحة :

إن المقاربة التي أقترحها تولدت عن تنازع بين شقين ، و هما: كيفية جعل القارئ حرا، و كيفية تقييده بالاتساق النصي، الذي يعد عمدا لثبات نسيجه الداخلي، و نظريتي هذه أطلقت عليها اسم :"نظرية المضمون". و المضمون لغة، من الفعل، ضمن، أي أودع شيئا في الوعاء، و تعني حفظ و خزن، و منها اسم المفعول (مضمون)، الذي يدل على المخزون و المودع و المحفوظ. و مفاد الفكرة: الدلالات المودعة في الكلمات، و هي تنبه إلى قدرة اللفظة على احتواء عدد كبير من الدلالات، عن طريق الإيحاء و الإحالة. و هكذا يمكننا تغيير سياق الجملة و حتى تنويع القراءة.

و فكرتي تنطلق من قناعة لغوية، و هي أن الدلالة هي التي تولد السياق الداخلي ، لأن الكاتب عندما يكتب لفظة فإنه ينتقيها لتحمل دلالة استقاها من علامة ثقافية معيشية ،أو من شيء يسعى لتأويله وفق كفاءته اللغوية. و هذا ينتج سياقا داخليا نتيجة اتساق و تلاحم الكلمات. و القارئ يتوفر على تركيب لغوي، فيسلك الطريقة نفسها، و لكن باستغلال قدرة اللفظ على احتواء دلالات أخرى، مستقاة من ثقافته و حسب قدرته اللغوية.

و هذه المقاربة الجديدة تعطي للمتلقي الحرية و تطلقه من قيود النص، و لا تدفعه إلى البحث عن مقصدية الكاتب، بل تجعل منه مبدعا و منتجا لنصوص على أنقاض نص يعد كيانا لا روح فيه. و حيث أن الدلالة هي أداتها، فإنه يمكننا وسمها بمقاربة معجمية.
القارئ يتخذ النص أرضية، يتأمله، و يستقرئ الكلمات التي توحي له بدلالات معجمية أو رمزية أو مجازية، و يلمس فيها قدرته على تداولها، و ذلك عبر الخطوات التالية:
◊ قراءة النص بانتباه، و صوت معبر، و وعي صوتي.

◊ استخراج الألفاظ.
◊ استدعاء الدلالات بشكل يقارب كل زوايا الحقل الدلالي(الظاهر، و الضمني).
◊ المسح، أي إسقاط الدلالات بالتناوب، و استخلاص السياق المناسب، ثم دبج تأويل يتناغم مع النسيج التركيبي للنص.

و لتوضيح هذه الفكرة، يمكنني اقتراح نصين من كتاب (التشوف إلى معرفة رجال التصوف)، لابن الزيات، الذي ألف سنة ١٢٢٠ ميلادية. و حققه (أدولف فور)، و طبع سنة ١٩٥٨، ثم حققه (أحمد التوفيق)، و طبع مرة ثانية سنة ١٩٩٧.

النص الأول

{ورد من بلاد المشرق فدخل المغرب، و نزل برباط تاسماطت من عمل مراكش فمات به، و قبره معروف يتبرك به إلى الآن. و نقل الخلف عن السلف، أنه جاء من المشرق على قدميه، و على عاتقه مخلاته التي جعل فيها كتبه، فمشى يوما إلى أن كلمه جمل بإزائه، فقال له: يا أبا سهل ، اجعل مخلاتك على كتفي، لتستريح من حملها}.

بعد قراءة النص، يتبين لنا أنه غني بكلمات مشفرة، و عميقة المعاني، و لنأخذ، من باب الدراسة ، كلمة ﴿أبا سهل﴾ :

* أبا سهل، قد تطلق على شخص من باب الكنية، لطيب معشره و يسر معاملته ، و بالتالي فالنص حديث عن رجل جاء من المشرق ، عرف بالورع و التقوى، دخل المغرب حيث أنزله الناس مكانة الولاية، و تعلقوا به حيا، و تبركوا بقبره ميتا، و من بركاته أنه قطع مسيره مشيا على الأقدام ، و جمله بجانبه، و على ظهره كتبه، و من بركاته تكليمه الجمل، ليقدم له العون.

* أبا سهل، قد تطلق على الإسلام بذاته، فقد سطع نوره في المشرق و أنار بلاد المغرب بعد الفتح، و الإسلام دين اليسر (يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر)سورة البقرة ،الآية ١٨٥. و هو دين تيسر به الأمور، دخل المغرب فكانت له معالم و آثار تشهد على عمق تجذره في نفوس السلف. ورد في قوة و حكمة بالغة و علم غزير، حمله علماء و فقهاء و تعهدوا به جيلا بعد جيل.

* أبا سهل، قد تطلق من باب القدح، عن الذي خلد للوهن و الضعف و الأخذ بأيسر الأمور متحاشيا عزائمها، فيكون النص إشارة إلى علماء المشرق الذين حجروا الفكر و الإبداع و الاجتهاد في الدين، و رموا ذلك بالبدع. و هذا عرف في القرن السادس الهجري، حيث نشبت خلافات فقهية و أصولية بين علماء المغرب و علماء المشرق.

النص الثاني

{و حدثني علي بن عيسى بن ناصر، قال: كان القاضي أبو يوسف قد أمر أن يؤتى بمخلوف القفاص، فاشتد البحث عنه و الطلب، إلى أن قبض عليه بعد حين فلما حضر

بين يديه قال له: أريد أن أخبرك بما شاهدته من العجب، رأيت أبا زيد الإمام قد خرج من باب المدينة، فأردت أن أخرج في أثره، فلما وصلت الباب وجدته مغلقا بالحجارة }
بعد قراءة النص، تبرز كلمات عديدة ذات معاني مستبطنة، و لنكتف بلفظة ﴿الحجارة﴾ . و هي في اللغة ، الصخرة و الداهية و الحسرة و المانع و الذنب.....
* آخذ دلالة الذنب ، فيكون النص حديثا عن رجل خلا بنفسه، حتى اشتد الطلب عنه، فلما خرج إلى الناس أخبرهم أنه اعتكف و رابط مجاهدة للنفس و طلبا للتوبة و الإنابة، ليخرج من بين براثن المعاصي، و لكن قسوة قلبه سبقته في سعيه، و غلبت على أمره.
" ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ".
* آخذ دلالة المانع و الحجاب، فالنص يؤول بمن يسعى في خلوته و جلوته، ليلحق بركب الأولياء و موكب الأصفياء، سالكا سبيلهم، و متبعا خطوهم، و لكنه يفتر و يصيبه الهوان تحت غواية النفس و لهو الحياة، فيمنع من ذلك المقام، و اسمه يوحي بالذي تخلف و صار حبيسا في قفص الغرور(مخلوف القفاص).

و ختاما نقول ، إن هذه المقاربة إذا تم التدرج في أجرأتها حسب مستويات السلك الثانوي، من السنة الأولى إعدادي إلى آخر سنة في التأهيلي، و ذلك بالتركيز في كل مرحلة على حقل دلالي معينة بدءا بالمعجم البسيط و وصولا إلى الرمزية و التورية، سيكتسب المتعلم أداة تحليلية عملية تمكنه من قراءة النص الأدبي، و هو في ندحة من سلطة النص و حل من مقصدية الكاتب، و دون السقوط في التقويل و الإفراط في التأويل. هذه النظرية طبقتها على نصوص عرفت بأسلوب مرمز و تعابير خفية، و هذا لا يحول دون تطبيقها على النص الأدبي، فهو نتاج نظام اللاشعور المليء بالايحاءات و الإحالات اللغوية.

المراجع:

¤ ابن منظور، لسان العرب، مطبعة دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة ١، ١٩٩٠م.
¤ نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط ٣، ١٩٩٥م.
¤ بسام قطوس، استراتيجيات القراءة التأصيل و الإجراء النقدي، مؤسسة حمادة و دار الكندي، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٩٨م.
¤ د. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٢م.
¤ عبد الرحيم كلموني، مدخل إلى القراءة المنهجية للنصوص، منشورات صدى التضامن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٦م.
¤ سعيد الفراع، القراءة المنهجية للنص النظري، مجلة علوم التربية، العدد ٤١، ٢٠٠٩م.
¤ د.أحمد بمداس، آليات التأويل في الفكر النقدي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد ٢١، ٢٠١١م.
¤ شذى عبد الباقي محمد و مصطفى محمد عيسى، اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، الأردن، ٢٠١١م.
¤ جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، موقع الألوكة.